

فهرس

الجزء الاول - المجلد الرابع عشر

صفحة

احتفال الازهر بالسنة الهجرية الجديدة	 « ١ »
فاتحة السنة الرابعة عشرة	 بقلم حضرة الأستاذ مدير المجلة ... ٣
الدروس الديرية - الدرس الاول	 « حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الامام ٥
ذكرى الهجرة	 « حضرة الأستاذ مدير المجلة ... ١١
الفلسفة الاسلامية في المغرب - ابن رشد	 « حضرة الأستاذ الدكتور محمد غلاب ١٢
عثمان بن عفان	 « فضيلة الأستاذ الشيخ صادق عرجون ١٨
الفلسفة في الشرق	 « محمد موسى ٢٢
النظام الاجتماعي	 « مصطفى الصاوي ٢٦
نقد المثر	 « محمد خفاجي ٣٠
معتزك المفسقين	 « حضرة الأستاذ مدير المجلة ... ٣٥
الرق والعنق والوصابة والقوامة	 « مصطفى أبو زيد ... ٤٠
بلاغة عبد القاهر	 « فضيلة الأستاذ رياض هلال ... ٤٤

مجلة الأزهر

مجلة دينية علمية خلقية تاريخية حكمية

تصدرها مجلة الأزهر

في كل شهر عربي

الجزء الأول	٣. المحرم سنة ١٣٦٢	المجلد الرابع عشر
-------------	--------------------	-------------------

مدير إدارة المجلة ورئيس تحريرها

محمد فريد الدين

الاشتراكات عمه

الإدارة

داخل القطر ٢٠٠

ميدان الأزهر

لطلبة الجامعة الأزهرية خاصة ... ١٠٠

تليفون : ٨٤٣٣٢

خارج القطر ٣٠٠

الرسائل تكون باسم مدير المجلة

نمن الجزء الواحد ٢٠ ملجا داخل القطر و ٣٠ خارجه

(مطبعة الأزهر - ١٩٤٣)

احتفال الأزهر

بالسنة الهجرية الجديدة

بشرفه حضرة صاحب الجلالة الملك بحضوره ويخطب فيه حضرة

صاحب الفضيلة الأستاذ الامام

احتفل الأزهر يوم الخميس في السابع من شهر يناير الجاري بأول أيام العام الهجري الجديد لسنة (١٣٦٢) ، فازدحم المسجد على سمعته قبيل صلاة العصر ، وتفضل حضرة صاحب الجلالة الملك بشهود هذا الاحتفال ، وبعد تأدية صلاة العصر ، نهض حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الإمام شيخ الجامع الأزهر الشيخ محمد مصطفى المراغي ، وألقى كلمة من كلماته الرائعة ، جريا على عادته كل عام ، أوجز فيها الدواعي التي حثمت على النبي صلى الله عليه وسلم الهجرة من مكة إلى يثرب ، في سبيل نشر دعوة الإسلام ، وما لقي هو وأصحابه من الشدائد فيها في سبيل إعلاء كلمة الله ، حتى من الله عليه بالنصر . ولأجل أن يوجز فضيلته هذه الحادثة التاريخية في أسطر معدودة ، أبدع ما شاء له الابداع ، في الانتقال بالقارئ من مرحلة إلى مرحلة منها ، في عبارات تأخذ بالآلأباب بيانا ، وتريه من نخامة أثر هذه الهجرة ، وجلالة الدعوة التي اقتضتها وأثرها في الاجتماع العالمي ، ما يشرح صدره للإسلام ، ويملا قلبه إيمانا ؛ وإني لأشهد أن هذه موهبة في البيان قل من يوفق إليها هذا التوفيق العظيم .

ومجلة الأزهر ترى من واجباتها في هذا المقام أن تضرع إلى الله أن يديم جلالة الملك الفاروق للإسلام ذخرا ، وللمسلمين عزاء ، ولرعيته كافة ملاذا ويمنا .

قال فضيلته حفظه الله :

سيدى رسول الله محمد بن عبد الله .

صلوات الله وسلامه عليك ، بقدر ما كان في قلبك من إيمان به ، وبقدر ما أفنيت ذاتك في حبه ، وبقدر ما أخلصت للحق وناخت عنه ، وبقدر ما كنت تكره الباطل وتدفعه وتحاربه ، وبقدر ما احتملت من جهل الجاهلين ، وسفه الحق والمعادين .

هذا يوم هجرتك يذكركنا بما احتملته من أذى في سبيل الله ، وبما كان يدبر للقضاء عليك والقضاء على دينك ، ويذكركنا بنصر الله من ينصره ، وها نحن أولاء ، نحتفل به إجلالا لك ، وتمجيذا لصفاتك ، واعترافا بما كان لك من فضل على الإنسانية ، وعلى العلم والأخلاق والمدنية . صلوات الله عليك .

مولاي صاحب الجلالة .

هذا هو الأزهر : علماءؤه وطلابه ، شيوخه وفتيانه ، وهم الحفظة على الدين ، وحملة القرآن المبين ، وهم القائمون على درسه وتعليمه ، وبيان حلاله وحرامه ، والناشرون هديه ، والدائدون عنه ، يحتفلون اليوم بالعام الهجري الجديد ، ذاكرين ما في الهجرة من عبرة ، يحيون ذاتك الكريمة ، فرحين بطلعتك ، فرحتهم بطلعة هلال العام ، ضارعين الى الله سبحانه ، داعين أن يزيدك عزاً ومجداً وشرفاً وسؤدداً ، وأن يسدد خطاك ويرعاك ، وأن يزيدك توفيقاً في طاعة الله وطاعة رسوله ، وفي أعلاء كلمة الله .

حديث الهجرة حديث عجيب : رجل رجل من قرية ، فراراً من الظلم ، ومعه رفيق له ، خرج خائفاً يترقب ، يتلفت ذات المئين وذات الشمال ، وإلى الإمام والخلف ، حذر أن يدركه الطالب ، لا يحذر الموت ولا يخافه ، لكنه يحذر القضاء على حياة مولود ، هو أمانة عنده ، فغير بهذه الرحلة مجسري التاريخ ، وبديل أرضاً بأرض ، وأدياناً بدين ، ولغات بلغة ، وطادات بمعدات ، ورجسا بطهر ، وفسادا بصلاح ، وقوضى بنظام ، ومحا دولاً وأقام دولة .

ذلك الرجل هو محمد ، ورفيقه هو أبو بكر ، وهذه الرحلة هي الهجرة ، التي يحتفل العالم الاسلامي اليوم بذكرها ، وهي التي أنقذت المولود ، وسأقت الخلق الى الحق ، وأعزت كلمة الله ، أما المولود فهو القرآن ، دين الله وهديه ، ووحيه وشرعه ، والنور إذا أظلمت الدنيا ، والمرشد إذا عميت السبل ، وتشابهت الطرق ، فما أجل الهجرة وأحقها بالاجلال والاعظام .

كانت الهجرة حداً فاصلاً بين الذلة والعزة ، والضعف والقوة ، خرج بها من دار فساد جوها بالشرك والضلال ، والجور والظلم ، والكفر والفجور ، الى دار وجد فيها بيئة صالحة للتعالم الإلهية ، والنظم القدسية ، فلا جوها بالتوحيد والطهر ، وتوتيل آيات الذكر ، وأظهر فيها نور الوحي وجماله ، ووضع سياسة إصلاح الخلق وتقويم الأمم ، وأرسى قواعد الأخلاق ، ووضع قواعد الحرية الصحيحة ، والمدنية الفاضلة التي يريدها الله .

وبهذا الوحي وهذه النظم ، وهذه السياسة الحكيمة ، أصبحت تلك القرية التي هاجر اليها عاصمة الدولة الاسلامية العظيمة ، والنصوت تحت رايها أم وممالك وعواصم كان أهلها

من قبل أحق بالملك ، وأجدر بالسياسة ، وأقدر على الحرب ، وأحق بالسيادة من هذه القرية وأهلها ، وكانوا يأنفون سكنها ، ومخالطة أهلها . فما أجل الهجرة وأحقها بالأعظام والاجلال .

من الحق أن نحتمل بالهجرة ، لكن من الحق علينا أن نعتبر بها ونتعظ ، وأن نفتدى بسيرة صاحبها ، ونستلهم منها سر العظمة ، فهي تهدينا الى تقدير الخلق ، والى ما فيه من جمال وسمو وروحى ، تفوق لذاته كل لذة مادية فى الدنيا ، والى أن الله سبحانه يمكن لمن آمن به وعمل صالحاً فى الأرض ويبدله من بعد خوفه أمناً ، مصداقاً لقوله : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض ، كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً » وترشدنا الى أن العاقبة للمتقين الصابرين على ما أصابهم ، والمجاهدين فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، والذين يجعلون الله سبحانه أحب من النفس والولد والمال والأهل والعشيرة ؛ وتهدينا الى أن الجهر بالحق أعز من الاوطان والأهل والعشيرة ، ولذلك أوجب الله الهجرة على من لا يستطيع القيام بما فرضه عليه فقال : « إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم ، قالوا فيم كنتم ؟ قالوا كنا مستضعفين فى الأرض ، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً » .



مولاي

هذا العالم المملوء بالشرور والآثام والاعتداء والإجرام ، والذي تن فى فيه الانسانية من العلم والمدنية ، والذي خلت أفئدة أهله من الروح الإلهى ، ومن تعاليم الأديان ، ونظم المسيحية والاسلام ، لا ينجيه إلا الرجوع الى الله ، واحتقار المادية البعيدة عن النظم الإلهية ، والخلاص من الشهوات الجاسحة ، والمطامع الفاسدة ، وتذكر الدار الآخرة ، والاعتقاد بالجزاء وبالجنات تجري من تحتها الأنهار للأتقياء البررة ، وبالجهنم للأشقياء الفجرة ، ولا ينجيه إلا تذوق لذات روحية هى أسمى من اللذات الجسدية ، ولا ينجيه إلا الاتصال بالله سبحانه على الطرق التى بينها للناس .

فليس لهذه الحالة علاج إلا التدبى ، وفى تعاليم القرآن شفاء للناس ، وفى نظمه من المرونة واليسر ما يستطيع أن يحل مشاكل العالم ، ويزيل مساويه .

أسأل الله أن يمكن للمسلمين فى الأرض ، وأن يمكن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وأن يبدلهم من بعد خوفهم أمناً ، وأن يهب لهم السلامة والأمن ، كما أسأل الله أن يعيد السلام الى جميع الأمم ، وأن يوفق القائمين بالأمر فيها الى الهدى والرشاد ، والى علاج أمراض الانسانية ،

وأن يرفع راية الحق ويؤيد ناصريه . وأسأله سبحانه لمصرنا العزيزة قدرا عاليا ، ومجدا سائغا ،
وأن يوفق ولاية الأمور فيها الى ما فيه صلاح الأمة ورشادها ، والى الحق والعدل ، والى
ما يحبه الله ويرضاه .

وإني أبعث بتهنئتي بالعام الهجري الجديد من هذا المسجد المبارك الى جميع إخواننا
المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، سائلا لهم السعادة واليمن بالبركة في عامهم الجديد
والرجوع الى هدى القرآن وسنة الرسول صلوات الله عليه .

مولاي

أعزك الله وأدامك . والسلام عليكم ورحمة الله ما



مركز تحقيق كالمبيوتر علوم إسلامي

فاتحة السنة الرابعة عشرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نحمد الله على أن يسر لنا نحن بسبيله من خدمة دينه القويم ، وعلى أن هدانا الى أقوم المناهج للدلالة على ينابيع الحكمة ومواطن الإعجاز من كتابه الكريم ، ونصلى ونسلم على رسوله الأمين ، محمد وعلى آله وصحبه ومن استن بسنتهم الى يوم الدين .

أما بعد ، فاننا نفتتح بهذا العدد السنة الرابعة عشرة من مجلة الأزهر ، شاكرين الله على ما وفقنا اليه فيها ، ووفق حضرات كتابها الأجلاء ، من الدراسات المختلفة التي ترمى كلها الى غرض واحد ، وهو خدمة الاسلام خدمة تناسب العقلية العصرية ، وتتفق مع الحقيقة الاسلامية من كل وجه ، بحيث تكون هذه المجلة صلة روحية وعلمية بين الجامعة الأزهرية ، وبين العالم الاسلامي في مشارق الأرض ومغاربها ، وهو تجديد ثقافي عظيم القيمة ، كان له أثر بعيد في حمل رسالة الاسلام الى أقطار بعيدة ، فاستفاد أهلها من بحوث هذه المجلة فوائد لا تقدر ، وقام متعلموهم بترجمة كثير من دراساتها الى لغاتهم فعملوها نشرها بين أقوامهم ، ونقلت ما يصدر من مجلاتهم بالعربية تلك الدراسات ووالث نشرها كلما صدرت ، فكان من وراء هذا الاستمداد المتوالي ذبوع الحقائق الاسلامية في بلادهم في أشد الحاجة اليها ، وابتنت عليها نهضات أدبية رائعة ، آتت ثمراتها ناضجة يانعة ، في تلك البلاد الشاسعة .

ربما لاحظ حضرات القراء أننا قد ثقلنا الوطأة في العهد الأخير على الفلسفة المادية ، وما يتصل بها من أصول ، وأعمالها عناية أكبر مما فعلنا في السنين الماضية ؛ فقد كان ذلك منا لأننا آتسنا أنها بسبب انتشار الثقافة العلمية ، والتساع دائرة المذاهب الفلسفية في بلادنا ، وجسدت المادية انفرجة سائجة لها لغزو العقلية المصرية في عقر دارها ، كما غزتها من قبل في مواطنها ، فكان من أهم ما يجب أن تعنى به مجلة الأزهر ، وهي القائمة على الهيمنة على سلامة عقائد الأمة ، مكافحة هذه الفاسفة مكافحة جدية ، فوسعت من صدرها مكاناً للرد على أصحابها بالأسلحة عينها التي تعتمد عليها ، وهي مقررات العلم الرسمي ، وبحوث أقطابه في السكون وقسواء المختلفة ، والتفرقة بين النشأت منها وبين الظنى ، والإفاضة في إيراد المكتشفات الحديثة في كل مجال من مجالات الطبيعة . وقد أثمر ما بذلناه من الجهد في هذا السبيل ثمرات طيبة ، فسكتب إلينا كثير من القارئ بأمر الدعوة الاسلامية يطلبون إلينا الاكثر

من هذه الدراسات التحليلية ، ويصفون لنا تأثيرها في نفوس القراء ، مما لو كنا نقوم
بنشره لاستوعب من هذه المجلة صحفا كثيرة ، ولكن هذا الأمر سهل الإدراك بقليل
تأمل ، فإن الفلسفة المادية لا تستقر إلا حيث يخلو لها الجو من النقد العلمي الصحيح ،
والرقابة العلمية الدقيقة ، لأن أهلها كثيرا ما يعتمدون على المغالطات والسفسطات فيسوقونها
باسم العلم وما هي منه ، فإذا صادفت نفوسا خالت من حقائق العلم احتانتها ، ودفعت بها إلى
أقصى حدود التطرف .

وإننا لنعد القراء بأننا سنستمر على تعقب هذه الفلسفة الخطيرة ، وتتمتع أصولها إلى أبعد
ما يحتمله الإمكان ، وقاية للعقول والقلوب من شرورها .

ونحن في مستهل هذا العام الجديد لا يسعنا أن تغفل التنويه بما يشتم به الأزهر ومجلته
من عطف حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم فاروق الأول ، فقد أغدق عليه من مننه السنية ،
وتشجيعاته العلية ، ما جعل كل عامل فيها محفوزا بأن يبذل أفضل ما عنده لتحقيق الشرح
السامى لجلالته منها ، وهو أن يبلغ المثل الأعلى من كمالها ، وأن يؤدي كل ما يرجى من
رسالتها . لازل جلالته للإسلام ركنا ، ولبلاده ذخرا .

ولا يسع مجلة الأزهر أيضا أن تغفل الإشادة بالتمجيد حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ
الامام من التشجيع والتأييد في الاضطلاع بمهمتنا ، وما يشهد أن رعا به من نشر خطبه الجليلة
وكلماته النابغة ، مد الله في أيامه ، وبارك له في أعماله .

وبعد ، فترجو الله أن ينفجنا بروح من مدده ، وأن يؤيدنا فيما نحن بصدده .

محمد فريد ومحمد

الدرس الأول

التي ألقاها حضرة صاحب النصيلة الاستاذ الامام الشيخ محمد مصطفى المراغى
فى رمضان سنة (١٣٦١) فى أكبر مساجد القاهرة فى حضرة صاحب الجلالة
الملك المعظم فاروق الاول وحشد كبير من رجال الدولة والعلم والوجهاء

الدرس الاول

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ۖ وَمِنْ جِئَاءِ بِالسِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِنْهَا ۖ وَمَنْ

لَا يَتَّقِ اللَّهَ ۖ يَجْعَلْ لِكُلِّ شَيْءٍ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِنْ تَرَكَ صَاحِبُ عَهْدٍ عَهْدَهُ ۖ فَكُفُّوا عَنْهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۚ

وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۚ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنَسْكَى وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۚ لَا شَرِيكَ لَهُ

وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ۚ قُلْ أَغْيِرَ اللَّهُ أُبْنَىٰ رِبَا ۖ وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ۚ

وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ ۚ

فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۚ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ ۚ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ

فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ ۚ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ۝

هذه الآيات هى آخر سورة الأنعام . وسورة الأنعام هى سورة عقائد الاسلام ، وأكثر
آياتها فى الألوهية والربوبية والرسالة والجزاء وأصول البر ، وفيها ما ينبغى أن يتحلى به المسلم
من الأخلاق الفاضلة والآداب الكاملة ، وما يجب اجتنابه من الفواحش مظهر منها وما بطن .

وقد ختمت بآيات جامعة اشتملت على ما يجب أن تكون عليه العسلة بين العبد وربّه في العبادات ، وعلى بيان الأجزئة على الأعمال .

قال تعالى : من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ، ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها ، وهم لا يظلمون . إذا فعل الشخص حسنة من الحسنات قاصداً بها وجه الحق سبحانه ، فهذا الفعل يترك في نفسه أثراً من الطهر والتزكية ، يختلف قوة وضعفه باختلاف الإيمان والإخلاص وظروف الحسنة وظروف المحسن ، وهذا الأثر يصاحب الشخص يوم الجزاء ، لأنه صفة من صفات نفسه ومن أجل هذا يصح أن تفسر الحسنة في الآية بالصفة والحسنة ، كما يصح أن تفسر بالفعل الحسنة . والفعله ، وإن كانت تنقضي بعد حصولها ، لكنها مكتوبة في سجل الأعمال محفوظة للعامل ومعدودة له ، ومثل هذا يقال في تفسير السيئة ، فيصح أن تفسر بالصفة السيئة ويصح أن تفسر بالفعل السيئة .

سيقت هذه الآية لبيان مقادير أجزئة العاملين : ففاعل الحسنة له من الجزاء عشر أمثالها وفاعل السيئة له من الجزاء مثل واحد ، وقد تفضل الله سبحانه على عباده في مضاعفة جزاء الحسنات ترغيباً لهم في فعلها ، ولطف بهم في جزاء السيئة ، وقد يكون ذلك لأن كلف النفس عن الشهوات ومحاربة الدواعي اليها عسير عند أكثر الخلق ، وهو يحتاج إلى علاج ومران طويل ، وإلى مرغبات في الطاعة تكبح جماح الهوى وزدع شهوات النفوس ، فكان من السياسة الإلهية في جذب الخلق إلى الحق أن ضاعف جزاء الحسنة ، وكان من رحمته أن اكتفى بالمثل وهو العدل في جزاء السيئة ، ومعنى « لا يظلمون » أن كل هؤلاء من أحسن منهم ومن أساء لا ينقص شيء من جزائه . وهذا الجزاء على إطلاقه يشمل جميع الأعمال ولا يدخل في المضاعفة التي جاءت في بعض الآيات خاصة بالانفاق مثل قوله تعالى : من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة . ومثل قوله : « مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ، كمثل حبة أنبتت سبع سنابل ، في كل سنبلة مائة حبة ، والله يضاعف لمن يشاء ، والله واسع عليم » قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم ، ديناً قيمياً ملة إبراهيم حنيفاً ، وما كان من المشركين .

الدين القيم ، الدين الثابت في نفسه المقوم المصلح لأمر المعاش والمعاد ، والحنيف المائل .

أمر صلى الله عليه وسلم من قبل الحق أن يقول للمشركين ، ومن فرقوا دينهم من أهل الكتاب خاصة ، وأن يقول للناس عامة : إن الدين الذي جاء به هو الصراط المستقيم الموصل إلى السعادة من غير إبطاء ، وإنه هو دين إبراهيم أبي الأنبياء ، وقد كان إبراهيم موحداً خالص التوحيد ، ماثلاً عن الشرك لم يشرك قط في أية ناحية من النواحي ، لم يشرك في الألوهية والعبادة ، بل أخلص وجهه لله ، ولم يشرك في الربوبية وفي الخالق بل قال : إني وجهت وجهي

للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين . وقوله سبحانه : « وما كان من المشركين » . قصد به الرد على أولئك الذين أشركوا وزعموا أنهم على دين إبراهيم ، وقد كان مشركو العرب يزعمون أنهم على ملة إبراهيم ، وكان أهل الكتاب ممن حرفوا وفرقوا دينهم يدعون أنهم على ملة إبراهيم ، وكأنه يقول لهم : كذبتكم ، إنكم لستم على ملة إبراهيم ، وإن الذى اتبع إبراهيم هو محمد صلى الله عليه وسلم .

وينبغي أن يعلم أن ما جاء به الأنبياء قسمان : قسم هو الجوهر والاصل ، وهو العقيدة وأصول الآداب والأخلاق وقواعد العدل وأصول العبادات ، وهذا القسم لم يتغير قط في ملة من الملل . « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا ، والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » .

وقسم وقع فيه الاختلاف وهو صور العبادات ، وصور ما يقوم به العدل وأشياء تتعلق بالاجتماع ونظام العائلة ، وهذا وقع فيه الاختلاف تبعا لاختلاف الأزمنة والأمكنة . ومحمد صلى الله عليه وسلم لم يكن على ملة إبراهيم في كل شيء ، بل في القسم الأول ، وكان في هذا القسم أيضا على ملة الأنبياء جميعهم . ولكن الله اختص إبراهيم بالذكر ، لأنه معترف له بالفضل عند الجميع ومحبوب عند الجميع ، وذكره في هذا المقام يجذب القلوب ومحبتها في دين محمد صلى الله عليه وسلم ، وينبهه الى الخطأ الذى هم فيه ، فلم يكن إبراهيم يقول إن الملائكة بنات الله ، ولم يكن يقول ببنته أحد الله .

مركز تحقيق كاتوير علوم إسلامي

قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ، لا شريك له ، وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين . بعد أن أمر صلى الله عليه وسلم في الآية السابقة أن يبين أنه على عقيدة التوحيد الخالص من شوائب الشرك التى هى دين إبراهيم وملته ، والتى هى الصراط المستقيم المنجى من عذاب الله الموصل الى السعادة ، أمر في هذه الآية أن يقول : إن جميع عباداته من صلاة وصوم وحج وزكاة وغير ذلك من أنواع القربات خالصة لله لا شريك له فيها ، بل إن حياته ومماته أيضا لله ، ومعنى ذلك ، أنه وهب حياته جميعها لله ، فلا يصدر عنه شيء إلا والمقصود به وجه الله وأنه ليدوم على ذلك الى الممات . بهذا أمره الله ، وبهذا دله النظر فى الكون وفى أسرار الوجود وبهذا تحققت نفسه وانملا قلبه وفنى فى الله ، وبهذا صار أول المسلمين فى كمال الاخلاص وفى العلم الإلهي .

المسلم الذى يخلص لله هذا الاخلاص الذى أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والذى يحيا فيه ويموت فيه ، لا يجزع من الموت ولا يجزن لغضب أحد ولا يفرح برضا أحد ، يقيم ميزان العدل أرضاء لله ولو غضب الناس ، يشقى نفسه العدل لا الانتقام ، ولا يفرحه الفوز بالباطل

ولا تلهيه لذات الدنيا وشهواتها عن طلب الحق ، لا يبالي بفقد المال والعشيرة والأهل والولد
والعز والجاء . حاله كما قال القائل :

فليتك تحلو والحياة مريرة وليتك ترضى والأنام غضاب
وليت الذي بيني وبينك طامر وبينى وبين العالمين خراب
أذا صبح منك الود فالكل هين وكل الذي فوق التراب تراب

المسلم الذي يتخلق بهذا الخلق الكامل هو اللائق بعمارة الأرض ، وبإخلافة عن الله سبحانه
والجتمع الذي يضم أفراداً من هذا النوع سعيد كل السعادة ، لأن الجهود التي يبذلها الأفراد لله
تعم الجميع ويسعد بها حال الجميع ، فلا يوجد الحرص والشره ، والأنانية والعزة ، والحسد والحقد
والغل ، ويتبع ذلك أنه لا يوجد شحناء ولا بغضاء ولا قتال ولا جرائم ، وإنما كان الله سبحانه
مختصاً بالعبادة لأن أكثر الناس متفقون على أنه الرب وعلى أنه الخالق ، وهذا القدر المتفق عليه
يوجب أن تكون العبادة له وحده ، وأن يفرد بالالهوية لأنه لا يجوز في نظر العقل السليم
أن يسوى المخلوق بالخالق في العبادة ، ولا يجوز أن يشاركه فيها ، وكيف يعبد الإنسان مخلوقاً مثله
لا يملك نعماً ولا ضرراً ولا حياة ولا موتاً ولا نشوراً . وكيف يذل الإنسان لمن لا يملك لنفسه
نعماً ولا ضرراً ؟ « واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون ، ولا يملكون
لأنفسهم ضرراً ولا نعماً ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً » .

مرحمة فاطمة بنت عبد الله

قل أغير الله أبغى رباً وهو رب كل شيء .

الاستفهام للانكار ، ومعنى الآية : أنى لو أشركت أحداً مع الله في العبادة ولم أفرد به
ولم أجعلها خالصة له ، لاستلزم ذلك أنى أشرك معه أحداً في الربوبية والخلق ، لكنه سبحانه
رب كل شيء وخالق كل شيء ، ومن خلقه تلك الأشياء التي عبدت من ملائكة وكواكب
وأصنام وغير ذلك ، والمخلوق المربوب لا يجوز أن يكون رباً في نظر العقل وعند الفطر السليمة
ويتبع ذلك أنه لا يجوز أن يعبد ، ولا أن يستعان به ولا أن يتوجه أحد إليه . كل ذلك أنكره
الاسلام وقرر إنكاره القرآن ، والمسلمون عنه فافلون . وهذه الأسس السليمة القويمة تعلى
قدر المسلم ، وتقره عند نفسه ، وتشعره بالحاجة الى واحد يستوى في الحاجة إليه جميع الخلق
وتتساوى أمامه الرءوس ، ولا يفضل عنده أحد أحداً إلا بمقدار ما يقدم من خير وبمقدار
ما عنده من إخلاص .

ولا تكسب كل نفس إلا عليها ، ولا تزر وازرة وزر أخرى ، ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم
بما كنتم فيه تختلفون .

معناه أن كل نفس لا تكسب شيئاً من الخطايا ولو مثقال حبة من خردل إلا كان ذلك

الشيء عليها تعاقب عليه ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ، لا ينفع في دفع ذلك أحد إلا من أذن الله له بالشفاعة . ولا تحمل نفس آثمة وزر نفس آثمة أخرى كما قال في آية أخرى : وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء . فكل شخص يعاقب على ذنبه ، وكل شخص لا يحمل عن شخص عقاباً . ومثل هذه الآية : أم لم ينبأ بما في صحف موسى وإبراهيم الذي وفى ، ألا تزر وازرة وزر أخرى وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ، وأن سعيه سوف يرى ، ثم يجزاه الجزاء الاوفى ، وأن الى ربك المنتهى ؛ وهذه القاعدة من أكل أسس الإصلاح للمجتمع البشرى ، فانها تردع عن الآثام ، وتقلع جذور الشرك . وبيان ذلك أن أساس الوثنية قائم على إثبات وساطة بعض المخلوقات المعظمة الممتازة ببعض الخواص بين العبد وربّه ، وعلى أن هذه الوساطة تجلب السمادة أو تدفع الضر من غير سعى وكسب للإنسان ، بل من طريق خفى غير طريق الأسباب والسنة التي سنّها الله ؛ فالوسائط ترفع العقوبة أو تعطى نعيماً غير مستحق ، وقد هدم الله هذه الأسس بهذه الآية ، وهى نظير : لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت . فالجزاء واقع لا محالة إلا بالعمو بعد التوبة ، ولا يأخذ أحد ثواب غيره ولا تضاف اليه خطايا غيره : فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره .

بقى أن هناك مواطن يظن فيها أن الإنسان ينتفع بعمل غيره ، ومن قواعد الاسلام : من سن سنة حسنة فله أجرها ، وأجر من عمل بها ، من غير أن ينقص من أجورهم شيء ، ومن سن فى الاسلام سنة سيئة فعليه وزرها ، ووزر من عمل بها ، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء ، وفى الحديث الشريف : إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له . لسكن عند التدبر يرى أن عمل هؤلاء الذين عملوا بالسنة الحسنة أو بالسنة السيئة أثر من آثار عمله ، فهو تابع لعمله فى الحقيقة ، فهو مثاب على عمله أو معاقب على عمله ، والولد أثر من آثار أبيه وعمله من عمل أبيه ، وقد ورد أيضاً انتفاع الوالد بحج ولده أو صدقته عنه ، وانتفاع الوالد بهذا المقدار من عمل أولاده لا نزاع فيه ، وهناك رأى بانتفاع الإنسان بأعمال غير الولد قياساً على الولد ، والظاهر أن القرآن لا يشهد له ، وينبغى الاقتصار على ذلك القدر المتفق عليه .

ثم الى ربكم مرجعكم ، المرجع والمصير فى الدار الآخرة الى الله وحده ، لأنه مالك يوم الجزاء وحده وبيده الموازين ولا تخفى عليه خافية ، فهو العليم بما ظهر وما بطن ، وسينبئ العباد بما كانوا يختمون فيه من أمر الأديان ، ويعرفهم الرشد من الغي ، وعلى ذلك فيجب على العباد أن يحذروه ، وأن يراقبوه ، وأن يجعلوا أعمالهم خالصة له ، وأن يتبعوا الهدى الذى جاء به على لسان الأنبياء ، ويقلعوا عما هم فيه من الشرك فى الألوهية ، والشرك فى الربوبية .

وهو الذى جعلكم خلائف فى الأرض ، ورفع بعضكم فوق بعض درجات ، ليبلوكم فيما آتاكم

إن ربك سريع العقاب ، وإنه لغفور رحيم .

الخطاب في قوله سبحانه جعلكم خلائف الأرض للنوع البشري جملة ، لأنهم خلفاء الله في الأرض تبعاً لخلافة أبيهم آدم ، وفيه تذكير لهم بما يجب أن يكونوا عليه من السمو والرفعة والبعد عن ذل الشرك ، ومن الاتصال بالله وحده والأخلاص له وحده في العبادة ، لأنه هو الذي خلقهم وجعلهم خلفاء .

أفراد هذا النوع متفاوتون مختلفون في العلم والجهل والغنى والفقر والصحة والمرض والعز والذل ، وهذا الاختلاف يظهر الاستعداد الفطري في الإنسان من صبر على الطاعة أو تبرم ، ومن تواضع وكبر ، وأثر وبطر ، ومن جبن وبخل ، وشجاعة وكرم ، وعلى الجملة يظهر مقدار استعداد الفرد لامتنال التكليف وإجابة داعي الله ، وكأن الله سبحانه أوجد هذا التفاوت للاختبار ، وعاملهم معاملة المختبر : « خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً » . « ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم » . والحق أن الإسلام اعترف بالاختيار للعبد ، ومع هذا الاختيار فقد وجد كل شيء في خزائن العلم ، وتبعته الإرادة ، والتوفيق بين هذا كله من سر القدر ، ولا يمكن أن يصل أحد إلى معرفة سر القدر .

وعلى الاختبار قامت النكاليف ، وأرسلت الرسل ، ووضعت القوانين ، ونقبة إنكار للوجدان ولعمالة الإصلاح ، وقد عرضت لهذا أكثر من مرة بتطويل في أحاديثي السابقة ، وأكتفي بذلك الآن ؟

مركز تحقيق كاتوير علوم إسلامي

ذكرى الهجرة

التناحر بين المبادئ والأصول

إن بين المبادئ الأدبية المختلفة ، والأصول الاجتماعية المتباينة ، تناحرا كتناحر الجماعات في ميادين الحروب ؛ وكما يفوز بالغلب الأمضى سلاحا ، والأكثر عتادا ، والأكمل نظاما من الجماعات ، كذلك الشأن بين المبادئ والأصول المتناحرة ، يفوز منها بالغلب الأوفى موافاة لحاجات الاجتماع ، والأشد مسيرة لناموس التطور ، والأكثر انطباقا على العقل السليم ؛ وإنما الفرق بين هذين النوعين من التناحر أن الأول يؤثر بشدة على المشاعر ، لما يصاحبه من تسافك في الدماء ، وتدافع في البر والبحر والهواء ؛ وأن الثاني يتم في جو من السلام ، في سويداوات القلوب ، وأعماق الضمائر .

وعلى هذا الأساس فازت المبادئ والأصول التي أرسل بها خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم ، على المبادئ والأصول التي كان لها السلطان المطلق على عهده ، لافي بلاد العرب وحدها ، ولكن في سائر بلاد العالم .

هنا قد يعترض معترض فيقول : إن المبادئ الإسلامية لم تغلب على ما عداها إلا بالحديد والنار ، وبأشد ضروب الإجبار ، فمن يستطيع أن ينكر ما حدث بين المسلمين والجاهليين من المعارك الدامية ، وبينهم وبين الفارسيين والرومانيين من الحروب الشعواء ؟

فنجيبه بأن محمدا صلى الله عليه وسلم ظهر وليس معه معاون ، حتى ولا من ذوى قرابه ، فبث دعوته سرا فقبلتها نفوس عقلتها ، وما زالت هذه النفوس تكثر حتى أصبحت جماعة تعد بالعثرات ، ترامى أمرهم الى الجاهليين فتولاهم بالاضطهاد ، حتى اضطروهم الى الهجرة مرتين وكانوا قبل أن يهاجروا يستأذنون النبي في أن يدافعوا عن أنفسهم حتى يقتلوا ، فكان ينههم عن ذلك وهو منابر على دعوته ؛ ولم تزل تلك المبادئ والأصول التي أرسل بها تعمل عملها السلمي في النفوس ، حتى دانت لها قبيلتان تصلحان أن تكونا وحدة اجتماعية ، هما بنو الأوس وبنو الخزرج القاطنون ببئر ، وطلبوا الى النبي أن يهاجر إليهم ليتولى أمرهم ، ويتخذ منهم حمة للدعوة الإسلامية .

هذا أعظم مظهر من مظاهر تنازع المبادئ ، وتغلب بعضها على بعض بقواها الأدبية الذاتية ، مجردة من كل قوة مادية . وليس في تاريخ العالم كله ما يشبه هذا الانتقال الأدبي طرفة بدون تدرج ، من حال كانت عليها وحدة اجتماعية ، الى حالة مناقضة لها من كل وجه . فإين المبادئ

والأصول التي كان عليها بنو الأوس وبنو الخزرج ، وكانوا وثنين معددين للآلهة ، وقائمين على تقاليد وعادات رسخت أصولها في نفسياتهم وعقلياتهم منذ قرون كثيرة ، من المبادئ والأصول الإسلامية ، وأساسها التوحيد في العقيدة ، والخروج من جميع التقاليد والعادات إلى مقتضيات الفطرة الإنسانية السليمة ؟

هذا تطور عظيم لا يمكن أن يحدث طفرة في جماعة من الجماعات البشرية ، مهما بُذل في سبيله من الجهود الكبيرة ، وأنفق لتحقيقه من الأموال الكثيرة .

إن الذي درس علم الاجتماع ، وعرف أن مثل الأفراد في بنية الاجتماع كمثل اللبائن والأحجار في البنى المادية ، وأن بين كل فرد وآخر لا بد أن يكون من الرُّبُط والوُصُل ما بين اللبائن البنائية ، من المواد الضرورية لتماسكها وترباطها ، يدرك خطورة هذا الانتقال الجلل الذي حدث في نفسية بنى الأوس وبنى الخزرج ، وبدهش من حدوث مثل هذا الانقلاب طفرة في نحو سنتين أو ثلاث سنين ، وهو لا يكفيه قرنان ولا ثلاثة قرون .

ثم إذا تأمل فيما كان عليه الواحد من هؤلاء الأنصار من التفاني في بذل نفسه وماله ، لنصرة الاسلام والداعي اليه ، زاد دهشه وأدرك أنه حيال عجب عجيب .

لقد عهد الناس أن الجماعات متى استبدلت مبادئ بمبادئ ، لا تنشط للجري عليها إلا بعد أن يمر عليها فيها زمان يكفي لأن تمازج روحها ، وتستولي على قواها المعنوية ، فتصرفها في مقتضياتها ، منقادة لعواملها التي تهيئها ، كدور تكلف ولا تفكير ، فكيف خالطت المبادئ الإسلامية روح تلك الجماعة ، واستولت على قواها المعنوية في مدة لا تكفي لمجرد تلقبها وتفهمها ، حتى دفعتها للغايات البعيدة ، من التمسك لها ، فباعت أرواحها ببيع السماح في سبيلها ؟ لاشك في أن الباحث المدقق في هذا الموضوع يرى رأى العين أنه حيال آية من أشد الآيات تأثيراً على النفوس ، وأبقاها على مر الحقب والدهور . وإلا فأى فارق يكون بين مصلح ورسول ، وآية مبزة لعمل مصدره قيم الوجود ، على عمل مصدره مشرع أو فيلسوف ؟ لقد نوالى على الأمم مصلحون كثيرون ، ونبغ فيها فلاسفة لا يقلون عنهم عدداً ، فهل آتت تأثيراً لواحد منهم مثل ما آتت لخاتم النبيين أو لغيره من المرسلين ؟ إن العبقرية ، وهي في حقيقتها هبة ليس للقوة العقلية أثر في إيجادها ، تعجز عن مجرد حمل الناس على تقدير ما تأتى به ، حتى أن أكثر العباقرة عاشوا غير مقدّرين ، ولم يفهم الناس جلالة ما أتوا به إلا بعد أن ماتوا بعدة قرون ؛ ولكن النبوة روح الهية تتجلى معها قوة الحق في أروع مظاهرها ، فتؤيد القائم بها خرقاً للسنن الثابتة ، ونقضا للعادات المقررة ، فيدرك الناس أنهم إزاء إرادة الهية لا يقف في طريقها حائل ، ولا تثبت في مقاومتها قوة .

هذا هو الفارق العظيم بين العبقرية والنبوة ، ولولاه لما قامت ديانة في الأرض ، لأن

جود الناس على مام عليه ، وخضوعهم لدواعي أهوائهم جيلا بعد جيل ، يحول دون حدوث انقلاب سريع في وقت هم فيه أحوج ما يكونون إليه .

هذه آية لا محيد لنا عن التنويه بجلالاتها تحت ضوء العلم الاجتماعي ، وبشهادة أصوله المقررة ، فإن كان من معجزات الرسل ما يصح أن تبقى خالدة ، فهذه من تلك المعجزات الخالدة ، وتزيد عليها في أنها تزداد جلالة وعظمة كلما تقدم الناس في الدراسات الاجتماعية ، وعلموا أن تطور الأمم يتبع نظاما طبيعيا ثابتا .

وفي أطواء هذه المعجزة معجزة أخرى لا نقل عنها استنزالا للمعجب ، بل استدعاء للدهش ، وهي قبول جماعة لا يزيد عدد مقاتلها عن بضعة ألوف ، ليسوا من الثروة والعتاد الحربي على أفضل مما عليه سواهم من القبائل المنتشرة في بلاد العرب ، أن تحمي دعوة ليس في بلاد العرب كلها من يعيرها أقل عطف ، أو يتعنى لها أدنى نجاح .

إن الأوس والخزرج كانوا لا يكادون يستطيعون أن ينتصفوا من جماعات يهودية هاجرت إلى بلاد العرب ، هربا من الاضطهاد الروماني ، ونزلات بجوارهم ، فكيف يجرؤون على حماية دعوة يمكن أن تجتمع على مكائفتها جميع قبائل العرب ، وقد أظهرت استعدادها لذلك بما أبدته قريش نحوها من الكراهة ، وما طاملت أهلها به من الاضطهاد والمقاطعة ؟

إن الجماعة التي كانت تعجز عن الاتيصال من اليهود وحدهم ، كيف كانت تعمل لو انضمت إليهم قريش وخزاعة والأحابيش وغيرهم من حلفائهم المتعصبين ؟ بل كيف كانوا يعملون لو انضمت إليهم هوازن وهي قريبة منهم ومن أكبر قبائل العرب ، لا يقل عدد مقاتلتها عن ثلاثين ألفا ، ولا أقول كيف كانت تعمل لو انضمت إليهم بنو عامر وعبس وذبيان وغيرهم ؟

هل حدث في تاريخ العالم أن تلتدب جماعة في عدد الأوس والخزرج لمجالدة الأحمر والأسود ، في سبيل دعوة لم يرئوها عن آبائهم يقوم بها رجل ليس منهم ؟

اللهم ليس هذا مما سيفه عقل ، فلنسلم بأنهم قبلوا ذلك لسبب من الأسباب ، فهل مما يقبله عقل أن توفي هذه الجماعة بما شرطته على نفسها وتنجح فيه ؟ فانه لم يحض عليها أكثر من عشر سنين حتى تغلبت على كل معارضة في جزيرة العرب ، ودان للدعوة التي حتمها جميع ساكنيها طوعا أو كرها ، ولم يتوف النبي صلى الله عليه وسلم إلا بعد أن لم يبق فيها وثن يعبد .

هذه معجزة عظيمة القدر ، جعلها قيم الوجود دليلا على نبوة نبي ، لا دخل للعبقريّة فيها ، لأن العبقريّة كثيرا ما عجزت عن حماية صاحبها ، فكيف تنجح في أحداث مثل هذه الأعمال الضخمة التي تحدثت وستحدث بها التاريخ حتى تقوم الساعة ؟

الفلسفة الإسلامية في المغرب

— ٧ —

(١) ابن رشد

شخصيته :

(١) نسبه — حياته

هو ابو الوليد محمد بن احمد بن محمد بن رشد ، ولد في قرطبة في سنة ٥٢٠ هـ . سنة ١١٢٦ بعد المسيح من أسرة ماجدة عالية الشأن ، توارث أفرادها منذ زمن بعيد بعض المناصب الراقية في الدولة ، فكان أبوه قاضيا في قرطبة ورث القضاء عن جده ، وقد مكنته ثراء والده من أن يتلقى دراسة عالية في كثير من العلوم والفنون مثل الفقه وعلم الكلام والنحو والطب والموسيقى والفلك وبقية علوم الرياضة وما وراء الطبيعة حتى صار أعلم أهل عصره قاطبة بكل هذه العلوم .

وفي سنة ٥٤٨ هـ - ١١٥٣ م قدمه ابن طفيل إلى الأمير أبي يعقوب بن عبد المؤمن الموحدي ، وقد روى لنا أحد تلاميذ ابن رشد قصة هذه التقديم فقال على لسان أستاذه ما يأتي :

حين مثل ابن رشد بين يدي أمير المؤمنين (١) ألقاه مع ابن طفيل ، فلما استقر بهم المجلس ، أخذ هذا الأخير يثنى عليه وعلى أسرته ثناء يقول ابن رشد : إنه لا يستحقه . وعلى أثر ذلك وجه الأمير إليه هذا السؤال : هل للسماء مبدأ أو هي أزلية ؟ . فارتاع ابن رشد من هذا السؤال وأحس بمحروجة موقفه وخشى أن تجلب الإجابة عليه سخط الأمير . فاستعمل أسلوب الحكيم وأخذ يتصيد المبررات للفرار من الجواب . فلما شعر الأمير بارتباك التفت إلى ابن طفيل وأخذ يتحدث عن هذه المشكلة ، فذكر فيها آراء أفلاطون وأرسطو وبعض الفلاسفة الآخرين وسرد الاعتراضات التي وجهها المتكلمون إلى هذه الآراء . وقد دل حديثه على عمق وسعة اطلاع وقوة ذاكرة أدهشت ابن رشد وملائته إعجابا بهذا الأمير العالم

(١) لم يكن هذا الأمير في ذلك العهد أميراً للمؤمنين ، لأنه لم يصعد على العرش إلا بعد وفاة والده في سنة ٥٥٨ هـ - ١١٦٣ م . وقد تسبب هذا التعبير (أمير المؤمنين) في خطأ كثير من العلماء الذين كتبوا عن ابن رشد . فليتنامل .

وعند ذلك عاد اليه هدوءه وأحس بأنه في مجلس علم لا في مجلس طغيان ، فساهم في الحديث بهيئة جديرة بعلمه وذكائه . ولما استأذن في الانصراف غمره الأمير بمعطياه ونعمه فتمنحه مبلغا من المال وجوادا وحلة شرف فاخرة ، فشجعه ذلك على التبحر في الفلسفة .

ولما رأى نبوغه وشاهد عبقريته رغب في أن ينتفع به العلم في زمانه فصرح أمام ابن طفيل بأنه في حاجة إلى فيلسوف ذكي يشرح كتب أرسطو ويوضح مراميها ، فاعتذر ابن طفيل عن هذه المهمة بأن لديه من مشاغل حياته ما يمنعه من مزاولتها ، ثم ذكر أمامه ابن رشد بخير وأثنى على عبقريته وأنباه بأنه قمين بتحقيق إرادة الأمير . ولما خلا ابن رشد أبغى رغبة صاحب العرش ، وطلب اليه أن ينزل عند إرادته فأجاب سؤاله ، وكان عند ظنه به ، فأخذ يصول ويجول في كتب أرسطو ، فألقى على ظلماتها الحالككة شعاعا قويا من نور ذكائه الوقاد ، وعلمه القياض ، وآرائه اليقينية الثابتة حتى كشف غامضها ، وأوضح مبهمها ، وجعلها في متناول ذهن كل من له إلمام بالحكمة بعد أن كانت مقصورة على الخاصة والممتازين ، ولا يفهمها إلا من انقطع لها . وآية ذلك الغموض أن ابن سينا نفسه كان قد يئس مما وراء الطبيعة لظلمته وتعمده ، ولولا كتاب الفارابي لانصرف عن الفلسفة كل الانصراف .

وقد عرف كل من أتوا بعد ابن رشد من الفلاسفة فضله على فلسفة أرسطو ، وأيقنوا بأنه لولاه لما انتفع بها إلا الأقلون من الخاصة ، وفي هذا يقول أحد فلاسفة أوروبا : « ألقى أرسطو على كتاب السكون نظرية صائبة ففسرها وشرح غامضها ، ثم ألقى ابن رشد على كتب أرسطو نظرة صائبة ففسرها وشرح غامضها » .

وفي سنة ٥٦٥ هـ عين قاضيا في إشبيلية ، وفي سنة ٥٦٧ هـ عين قاضيا في قرطبة ، وقد كتب في هذا العصر كثيرا من مؤلفاته رغم مشاغله ، وفي سنة ٥٧٨ هـ ، ارتحل الى مراکش حيث عين طبيبا للخليفة أبي يعقوب بدلا من ابن طفيل الذي صار مسننا ثم لم يلبث هذا الخليفة أن عينه قاضي القضاة في قرطبة .

ولما تولى الخليفة أبو يوسف كان ابن رشد قد انقطع لدراسة الفلسفة ووقف نفسه على بحوث الحكمة وأفرغ جهده في توجيه فلسفة أرسطو وتعليمها وإعلاء شأنها ، وكان هذا الأمير قد خالف نهج سالفه فهجر الفلسفة ومال الى التصوف وجعل حوله بطانة من شيوخ الطرق الذين لقحوا رأسه بما أحنقه على ابن رشد وبغضه فيه ، ومن سوء حظ هذا الفيلسوف أن جماعة من أعدائه قد اندسوا بين هؤلاء المتصوفين وأخذوا يسكيدون له من وراء ستار الدين حتى إذا استحك العدا في نفس الأمير ، أمر بالقبض على ابن رشد وتلاميذه المخاضين له ، فجيء بهم وحوكوا أمام مجلس علني ، ولم يسمح لهم بالدفاع عن أنفسهم ، وأسفرت المحاكمة عن نفهمهم ، فننفوا الى « أليسانا » .

وقد انتهر خصومه هذه الفرصة وشنعوا عليه ، فأذاعوا أن الأمير نقاه الى بلاد أجداده اليهود ، غير أن هذا النفي لم يدم طويلا إذ لم يلبث جماعة من أعيان إشبيلية أن شهدوا بأن ما نسب إليه غير صحيح ، فندم الأمير على ما فرط منه وأعادته وتلاميذه الى بلادهم معززين موفوري الكرامة بعد سنة واحدة من نفيهم ، وفي سنة ٥٩٥ هـ — ١١٩٨ م خبا كوكب حياة ابن رشد بعد أن ظل يتلألا في سماء الأمة العربية زهاء أربعين سنة قضاها في عالم التفكير والتأليف ، وكانت سنه اثنتين وسبعين سنة .

من نتائج نفي ابن رشد :

منشور حظر الفلسفة : على أثر أمر الخليفة بنفي ابن رشد الى « أليسانا » وبإحراق كتبه أذاع منشورا شديدا من إنشاء عبد الله بن عياش ، شهر فيه بالفلاسفة وحذر الشعب من كتب الفلسفة وحرم على الناس الاشتغال بها . وهاك نصه :

« قد كان في سالف الدهر قوم (١) خاضوا في بحور الأوهام ، وأقر لهم عوامهم بشفوف عليهم في الأفهام ، حيث لا داعي يدعو الى الحى القيوم ، ولا حاكم يفصل بين المشكوك فيه والمعلوم ، فخلدوا في العالم صحفا مالهيا من خلاق ، مسودة المعاني والأوراق ، بعدها من الشريعة بعد المشرقين ، وتباينها تباين الثقيلين ، يوهون أوزان العقل بميزانها ، والحق برهانها ، وهم يتشعبون في القضية الواحدة فرقا ، ويسرون فيها شواكل وطرقا ، ذلكم بأن الله خلقهم للنار ، ويعمل أهل النار يعملون ، ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون . ونشأ منهم في هذه السمحة البيضاء شياطين إنس يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون . يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون . فكانوا عليها أضمر من أهل الكتاب ، وأبعد عن الرجعة الى الله والمآب ، لأن الكتابي يجتهد في ضلال ، ويجد في كلال ، وهؤلاء جهلهم التعطيل ، وقصاراهم التمويه والتخييل ، دبت عقاربهم في الآفاق برهة من الزمان الى أن أطلعنا الله سبحانه منهم على رجال كان الدهر قد منا لهم على شدة حروبهم ، وعفى عنهم سنين على كثرة ذنوبهم ، وما أملى لهم إلا ايزدادوا إثمًا ، وما أمهلوا إلا ليأخذهم الله الذي لا إله إلا هو وسع كل شيء علما . وما زلنا - وصل الله كرامتكم - نذكرهم على مقدار ظننا فيهم وندعوهم على بصيرة الى ما يقرهم الى الله سبحانه وبدنيهم ، فلما أراد الله فضيحة عمائهم ، وكشف غوايتهم ، وقف لبعضهم على كتب مسطورة في الضلال ، موجبة أخذ كتاب صاحبها

بالشمال ، ظاهرها موشح بكتاب الله ، وباطنها مصرح بالإعراض عن الله ، لبس الإيمان منها بالظلم ، وجيء منها بالحرب الزبون في صورة السلم ، مزلة للأقدام ، وهم يدب في باطن الاسلام . أسياف أهل الصليب دونها مفسولة ، وأيديهم عما يناله هؤلاء مغلوله ، فانهم يوافقون الأمة في ظاهرهم وزيهم ولسانهم ، وبخالفونها بباطنهم وغيبهم وبهتانهم . فلما وقفنا منهم على ماهو قذى في جفن الدين ، ونكتة سوداء في صفحة النور المبين ، نبذناهم في الله نبذ النواة ، وأقصيناهم حيث يقصى السفهاء من الغواة ، وأبغضناهم في الله ، كما أنا نحب المؤمنين في الله ، وقلنا : اللهم دينك هو الحق اليقين ، وعبادك هم الموصوفون بالمنقين . وهؤلاء قد صدقوا عن آياتك وعميت أبصارهم وبصائرهم عن بيناتك . فباعد أسفارهم وألحق بهم أشياعهم حيث كانوا وأنصارهم ، ولم يكن بينهم إلا قليل وبين الإلجام بالسيف في مجال السفنهم ، والإيقاظ بحده من غفلتهم وسنتهم . ولكنهم وقفوا بموقف الخزى والهون ، ثم طردوا عن رحمة الله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون . فاحذروا وفقكم الله هذه الشرذمة على الإيمان حذركم من السموم السارية في الأبدان . ومن عثر له على كتاب من كتبهم ، فحرقه النار التي بها يعذب أربابه ، وإليها يكون مآل مؤلفه وقارئه وما به ، متى عثر منهم على مجد في غلوائه ، عم عن سبيل استقامته واهتدائه ، فليغسل فيه بالتنقيف والتعريف . ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون . أولئك الذين حبطت أعمالهم . أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون . والله تعالى يظهر متى يشاء المؤمنين وأصفاكم ، ويكتب في صحائف الأبرار تضافركم على الحق واجتماعكم إنه منعم كريم .

هذا هو المنشور الذي أمر ذلك الخليفة الفر باذاعته في بلاد الأندلس والمغرب ، فكان له أسوأ الأثر في الحياة الفكرية العربية ، كما كان نقطة سوداء في صفحات تاريخ ملوك المسلمين شهدت على بعضهم باضطهاد العلم والفلسفة ، وأزلته فيما بعد الى حضيض الظلمة والمتعسف من المسيحيين وإن لم يكن قد مائلهم في القتل والتعذيب .

« يتبع »
الكتور محمد غطوب
أستاذ الفلسفة بالجامعة الأزهرية

حياة الحسن بن الحسن

عثمان بن عفان

- ١١ -

نوافذ الأحداث

كان الحديث السابق عن بعض الأحداث التي عصبت بالصق قرابات عثمان رضى الله عنه وأوثقهم اتصالا به ، ابن عمه وكاتم سره « مروان بن الحكم » ، وقد بسطنا في ذلك الحديث قصة الكتاب المزور بقول محمد بن أبي بكر وأصحابه ، وكشفنا القناع عن زيف تلك القصة بما لا يجعل مجالا للشك في كذبها ووضعها للتجني على تاريخ عثمان وسيرته المشرقة .

والآن نتحدث عن قصة أخرى تلتقي مع قصة الكتاب المزور عند شخصية « مروان » ، هذه الشخصية التي استحوذت على أهم فصول الرواية العثمانية وأحداثها ، تلك القصة هي قصة « فذك » ، وهي قصة لعبت فيها الأرواح المذهبية والعصبيّة الطائفية دورا عظيما ، يبدأ بقيام خلافة أبي بكر الصديق رضى الله عنه ، حتى وصلت الى عهد عثمان ، فأتخذت ذريعة من ذرائع الفتنة الهوجاء ، وباباً من أبواب افتراء الكذب على الخليفة الراشد ذى النورين رضى الله عنه . « فذك » قرية صغيرة على مسافة يومين من مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى أقل من مرحلة بالنسبة لخبر ، وهي مما أفاء الله على رسوله ، فكانت خالصة له يضمها حيث يشاء بتسديد الله وهدايتيه ، فلما انتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى ، وقام بالأمر من بعده خليفته الأول ، وصاحبه الأفضل الصديق الأعظم رضى الله عنه ، جاءته السيدة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تسأله ميراثها من أبيها بتسليم « فذك » إليها ظنا منها أنها كانت ملكا له وبقيت كذلك ملكا يورث عنه ، فردها الصديق ردا لطيفا ، وروى لها حديث « نحن معاشر الأنبياء لانورث ، ما تركناه صدقة » ، وروى أبو هريرة أن فاطمة عليها السلام جاءت إلى أبي بكر فقالت : من يرثك ؟ فقال : أهلى وولدى ، فقالت : فالى لا أرث أبى ؟ فقال أبو بكر : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لانورث » ، ولكنى أعول من كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوله ، وأنفق على من كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفق عليه ؛ وفي بعض الروايات أن السيدة فاطمة عليها السلام طلبت من الصديق « فذك » على أنها كانت نحلة نحلها إياها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال

أبو بكر : أريد شهوداً ، وهذا إذا صح يكون من عظيم فقه الصديق رضى الله عنه ، وليس فيه تكذيب للسيدة فاطمة عليها السلام ، وإنما هو توقف لعدم استيفاء البينة على تحقيق الدعوى ، وهذا حكم فى نقل مال وتمايلك ، فلا تكفى فيه مجرد دعوى من عرف بالصدق ، مع تأييد توقف الصديق بما علمه من قول النبي صلى الله عليه وسلم « لا نورث » ولم يرد عليه ناسخ ، وهذا كما أبى أن يرد « الحكم بن العاص » من الطائف ، وكان قد نفاه إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له عثمان رضى الله عنه : إن عندى وعداً من رسول الله صلى الله عليه وسلم برده ، فقال أبو بكر : لم أسمع هذا الوعد ، مع علمه بصدق عثمان رضى الله عنه ، وفى رواية أخرى : أن أبا بكر رضى الله عنه قال لفاطمة عليها السلام : يا بنت رسول الله ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إنما هى طعمة أطعمتها الله تعالى حياتى ، فإذا مت فهى بين المسلمين » ، وأقام أبو بكر رضى الله عنه مدة خلافته يصنع فيها ما كان يصنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأرضى فاطمة فرضيت عنه .

ولما استخلف عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، اختصم اليه فى شأن « فذك » العباس ابن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهما ، وكان العباس يرى أنها ملك النبي صلى الله عليه وسلم وهن وارثه ، وكان على كرم الله وجهه يذهب فيها بمذهب السيدة فاطمة ، ويرى أنها نحلة لها خاصة لا يشاركها فيها أحد بميراث أو غير ميراث فأبى عمر أن يحكم بينهما بغير ما قضى به أبو بكر ومضى من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلمها لهما بعد أن أخذ عليهما الموائيق أن يصنعا فيها صنيع أبى بكر ، روى مسلم فى صحيحه : أن مالك بن أوس قال : أرسل الى عمر بن الخطاب ، فحشته حين تعالى النهار ، قال : فوجدته فى بيته جالساً على سرير مفضيا الى رماله متكئاً على وسادة من آدم ، فقال لى : يا مال إنه قد دف أهل أبيات من قومك ، وقد أمرت فيهم برضخ ، فخذ فاقسمه بينهم ، قال : قلت لو أمرت بهذا غيرى ، قال خذها يا مال ، جاء « يرفأ » فقال : هل لك يا أمير المؤمنين فى عثمان وعبد الرحمن ابن عوف والزبير وسعد ؟ فقال عمر : نعم ، فأذن لهم فدخلوا ، ثم جاء فقال : هل لك فى عباس وعلى ؟ قال نعم ، فأذن لهما ، فقال عباس : يا أمير المؤمنين ، اقض بينى وبين هذا ، فقال القوم : أجل يا أمير المؤمنين فاقض بينهم وأرحهم ، فقال عمر : إني أشدكم بالله الذى بأذنه تقوم السماء والأرض أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا نورث ما تركناه صدقة » قالوا : نعم ، ثم أقبل على العباس وعلى فقال : أشدكم بالله الذى بأذنه تقوم السماء والأرض أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا نورث ما تركناه صدقة » ؟ قالوا : نعم ، فقال عمر : إن الله عز وجل كان قد خص رسوله صلى الله عليه وسلم بخاصة لم يخص بها أحداً غيره ، قال (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول) فقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم بينكم أموال بنى النضير ، فوالله ما استأثر عليكم ولا أخذها دونكم حتى بقى هذا المال

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ منه نفقة سنة ثم يجعل ما بقي أسوة المال ، ثم قال : أنشدكم بالله الذي بأذنه تقوم السماء والأرض أنتمون ذلك ؟ قالوا : نعم ، ثم نشد عباسا وعليما بمثل ما نشد به القوم ، أنعلمان ذلك ؟ قالوا : نعم ، قال : فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو بكر : أنا ولي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلتما ، تطلب منه ميراثك من ابن أخيك ، ويطلب هذا ميراث امرأته من أبيها ، فقال أبو بكر : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما نورث ما تركناه صدقة » والله يعلم أن أبا بكر لصادق بار راشد ، تابع للحق ، ثم توفي أبو بكر ، وأنا ولي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وولي أبي بكر ، والله يعلم أني لصادق بار راشد ، تابع للحق ، فوليتهما ، ثم جئني أنت وهذا وأنتما جميع وأمركما واحد ، فقلتما ادفعما إلينا ، فقلت : إن شئتم دفعتهما إليكما على أن عليكما عهد الله أن تعملما فيها بالذي كان يعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذتماها بذلك ، قال : أ كذلك ؟ قالوا نعم ، قال : ثم جئتماي لأقضى بينكما ، ولا والله لا أقضى بينكما بغير ذلك حتى تقوم الساعة ، فان عجزتما عنها فرداها الى .

هذه رواية الثقات في شأن « فذك » على عهد الصديق والفاروق ، فلما تولى الخلافة ذو النورين ، جرى على سنة صاحبيه من قبله ، وكانت الفتنة لما تلقى بزمامها الى أحلاس الشياطين من أتباع ابن السوداء عبد الله بن سبأ اليهودي رأس الشر كله في هذا الانقلاب ، وبقيت « فذك » وغيرها من صدقات رسول الله صلى الله عليه وسلم يطبق فيها كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم حتى سمى الناس العافية في ظل الخلافة الراشدة ، وتنادى بأباسة الفتنة بالقواصم ، وأخذوا يفترون على عثمان رضى الله عنه الكذب ، وكانوا كلما افتضحت لهم سواة ، انقلبوا الى سواة أخرى يلفونها في مجاد من البهتان والتزوير ، وكان من هذه الأباطيل الملفقة والا كاذب المختلفة أن عثمان رضى الله عنه أقطع مروان بن الحكم « فذك » وهي صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذه قرية تنادى على أصحابها بالضعف العقلى ، وإلا فآين صوت على بن أبى طالب واحتجاجة على عثمان في شأن « فذك » وغيرها من صدقات رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ وقد علم الناس وسجل التاريخ الصحيح محتجته له في غير هذا ، أفكان من المعقول أن يتخاصم العباس وعلى الى عمر ويتغالب على « فذك » ثم يسكت على عنها وقد أقطعها عثمان الى ابن عمه مروان بن الحكم ؟ هذا ما لا يعرفه التاريخ من أخلاق على كرم الله وجهه ، وقد وضع الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز أمر « فذك » فقال : « إن فذك كانت مما أفاء الله على رسوله ، فسألتها فاطمة رسول الله ، فقال لها : مالك أن تسألينى ، ولالى أن أعطيك ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع فيها حيث أمره الله ، ثم أبو بكر وعمر وعثمان كانوا يضعونها المواضع التى وضعها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم لما ولي

معاوية أقطعها مروان ووهبها مروان لعبد الملك وعبد العزيز ، فقسمنها بيننا اثلاثاً أنا والوليد وسليمان ، فلما ولي الوليد سألته نصيبه فوهبه لي ، وما كان لي مال أحب الي منها ، وأنا أشهدكم أنني قد رددتها الي ما كانت عليه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

بقي مما يتصل بمروان في نوافذ الأحداث العثمانية ما زعمه المنحرفون من أن عثمان رضى الله عنه وهب خمس غنائم إفريقية لمروان بن الحكم ، وهذه أيضاً أغلوطة كاذبة ، وحقيقة هذه القصة كما ذكرها الاثبات من المؤرخين : أن عثمان رضى الله عنه كان قد جهز جيشاً لفتح إفريقية ، وعليه عبد الله بن أبي سرح أميراً وقائداً ، وقد انتصر المسلمون وتم لهم الفتح وغنموا غنائم متنوعة ، فقسمها أمير الجيش وأخرج الخمس من الذهب ، وكان خمسمائة ألف دينار ، وأنقده الى الخليفة ، وبقي من الخمس أصناف لا يستطاع نقلها الى عاصمة الخلافة ، فاشترها مروان بمائة ألف درهم ونقد أكثرها ، ولما وصل الى عثمان رضى الله عنه مبشراً بالفتح ، وكانت قلوب المسلمين مشغولة ، وهب له عثمان ما بقي في ذمته ، وكان شيئاً قليلاً ، جزاء بشارته ، وهذا من حق الامام ، فأين هذا مما زعموه ؟

هذه خلاصة قصص الأحداث المنسوبة الى مروان بن الحكم في رواية المناسة العثمانية ، وفيها تظهر نزاهة الخليفة الراشد وسياسة الحكيم ، كما يتجلى منها سوء نية المنحرفين عن عثمان رضى الله عنه ، وهؤلاء الذين يطعنون على عثمان في استصفائه مروان جعلوا من مروان هذا شخصية صورتها أخيلتهم الفاسدة ، كما شاء لها هوى العصبية ومجانبة الحق والهدى ، والتاريخ الصحيح يدفع في نحورهم ، ويضع مروان بين خيار التابعين ، وهو من رجال البخارى وقد علم الناس قاطبة حالهم من العدالة والدين . يقول شيخ المؤرخين العلامة ابن خلدون في مقدمته : « وكذلك مروان بن الحكم ، وابنه ، وإن كانوا ملوكاً ، فلم يكن مذهبهم في الملك مذهب أهل البطالة والبغى ، إنما كانوا متحريين لمقاصد الحق جهدهم إلا في ضرورة تحملهم على بعضها مثل خشية افتراق السكينة الذي هو أهم من كل مقصد ، يشهد لذلك ما كانوا عليه من الاتباع والاقنداء وما علم الساف من أحوالهم ، فقد احتج مالك في الموطأ بعمل عبد الملك وأما مروان فكان من الطبقة الاولى من التابعين ، وعدالتهم معروفة » .

صادق إبراهيم هريهوري

الفلسفة في الشرق

للشرفيين فضل السبق حتى في هذه الناحية

— ١ —

هذا هو الموضوع الذي رأيت ، ملتصعا عون الله وتوفيقه ، الكتابة فيه في هذا العام المبارك ، رجاء أن أوفق للرأى الحق في مسألة كثر فيها وحولها الجدل والنزاع ، أعنى الشرق وما كان له من فلسفة أو تفكير فلسفى ، ساعد على تكوين الفلسفة التى نسميها اليوم الفلسفة اليونانية . وقد كتب قبلى في هذه المسألة كثير من الكتاب الباحثين ؛ إلا أن بعضهم ركب من الهوى مركبا صعبا وصل به إلى جانب لاحق فيه ، وبعضهم كان مؤلفا أنصف في رأيه الحق والشرق ، فقليل عنه انه تعصب لقومه . من أجل هذا رأيت أن يكون سبيلى أن أشهد القوم على أنفسهم ، بنشر خلاصة وافية لكتاب لأحد الأعلام الفرنسيين في الفلسفة في الشرق وهو كتاب مؤيد بالمستندات التى تجعل له منزلة لا يقرب الشك منها ، وصاحبه حجة في موضوعه متمكن تمام التمكن من مادته .

حقيقة ؛ لقد مضى حين من الدهر كان الناس لا يشكون في أن الفلسفة نشأت أول ما نشأت ببلاد اليونان ، أو بعبارة أدق بليونيا المستعمرة اليونانية التى أسسها مهاجروا اليونان الأولون إلى آسيا الصغرى . واستمر هذا الرأى ينمو ويشتد ويستقر في النفوس كحقيقة لا ريب فيها خلال العصور ، تساعده عوامل مختلفة ؛ منها استعمال الغربى واعتقاده نفسه خير الناس ، واستخذاء الشرق وظنه السوء بنفسه ، ذلك بأن للقوة أثرها غير المنكور في نفسى القوى والضعيف على سواء . وكان من هذا أن رأينا في الأيام الأخيرة أحد رجال العلم في فرنسا ، وهو مسيو بارتلى ساتيلير ، يقرر في مقدمة ترجمته لكتاب الكون والفساد لأرسطو أن العقلية الإغريقية ليست مدينة لغيرها فيما أثر عنها من علم وفلسفة ، وأنه إن كانت للمصريين والكلدان والهنود في ماضى الإنسانية مقام كبير فانهم مع ذلك في الفلسفة أو في العلم بعبارة أعم ليسوا شيئا مذكورا في جانب الإغريق الذين لم يكونوا ليتعلموا منهم ، وأن العلم على جميع صورته كان معدوما في الشرق فاخترعه الإغريق ونقلوه إلينا . وهذا الرأى على غلوه — أو على خطئه — له أنصار كثيرون في الغرب ، ومن المعجب أن يكون له أنصار كثيرون أيضا في الشرق لا حاجة بنا للدلالة عليهم أو الإشارة إليهم .

إلا أن الحق لا يعدم أنصارا يصدعون به رضى الآخرون أم سخطوا . من هؤلاء الأنصار العلامة « جوستاف لوبون Gustave le Bon » الذى يقدر — وقد درس الشرق دراسة من يريد معرفة بواطن الأمور — أنه إلى زمن ليس بالبعيد ، كان الناس يعتقدون أن اليونان غير مدنيين في فنونهم وعلومهم وآدابهم لغيرهم من الأمم التى سبقتهم ، لكن هذا

الرأى لم يعد التسليم به ممكنا ، فإنه ، وإن كانت الحضارة القديمة قد بلغت الأوج في بلاد
الآغريق ، إلا أنها ولدت ونمت في الشرق ، ونحن نعلم اليوم أنه في العصر الذي لم يكن فيه
اليونان إلا جبهة برابرة كانت هناك حضارات لامعة زاهرة على ضفاف النيل وفي سهول كلديا (١)
ومن هؤلاء الأنصار أيضا نجد الأستاذ « ألبير - فور » الفرنسي ، فقد وضع تقريرا
مطولا تسكلم فيه عن اليونان وعلاقتها بالأمم التي سبقتها في الحضارة وبخاصة مصر ، وذكر
أن الغرض من البحث الذي تضمنه التقرير التمدليل على خطأ الرأى التقليدى الذى يقول بأن
اليونان ليسوا مدينين لغيرهم في حضاراتهم ، وإظهار أنهم ، وبخاصة في الفلسفة ، قد استقوا
معلوماتهم الى حد ما من مصر القديمة (٢) .

وأخيرا من هؤلاء العلماء الذين لم يصممهم الهوى عن الحق نجد العلامة « ماسون أورسيل -
Masson Ourcel » مدير مدرسة الدراسات العليا بباريس الذى نحن بسبيل نشر ترجمة
خلاصة وافية لكتابه الذى سماه « الفلسفة في الشرق » La philosophie en Orient
والذى نتمجّل الحديث فنذكر أنه قرر فيه أنه ليس هناك الآن أى إنسان يستطيع الاعتقاد
بأن اليونان وروما وشعوب أوروبا في المصور الوسطى والحديثة هم دون سواهم أرباب التفكير
الفلسفى ؛ ففي جهات أخرى من الانسانية سطعت عمدة مواطن للتفكير المجرد ، وظهرت أشعتها
جليليا وانتشرت في شتى الأنحاء (٣) .

إذن لم يكن من الحق في يوم ما ، أن يتغاضى الباحث عما كان للشرق من علم وفلسفة عرفهما
الغرب وبني عليهما ، ولم يكن من الحق ولا من المنطق أن يرى هذا الرأى نفر من المصريين
لأنه حق في نفسه ، بل لأن فلانا وفلانا من الذين لهم اسم وذكر في الغرب قالوا به ! وإذن
فلنمض على بركة الله في نشر الخلاصة التي أشرنا اليها لكتاب الأستاذ « ماسون أورسيل »
ذاكرين أولا أن الأستاذ « إميل برييهيه » Emile Bréhier ، وهو من نعرف مكانته
وخطره في الفلسفة وتاريخها ، صدر هذا الكتاب القيم بمقدمة بين فيها الحاجة اليه وقيمته
وأن مؤلفه كان الوحيد في فرنسا الذى في مقدوره القيام بهذا العمل ، وهو كتابة تاريخ
الفلسفة في الشرق . هذا الكتاب تناول فيه مؤلفه الكلام على التفكير الفلسفى بأسيا ،
ومصر ، وما بين النهرين ، وإيران ، والهند والصين . وجعل للحديث عن هذا كله مدخلا
تضمن كثيرا من المسائل الحرة بالبحث والمعرفة ، لهذا نجعله مقدمة نبدأ بها نحن أيضا .

(١) « الحضارة الأولى - Les premières civilisations » الطبعة الفرنسية صفحة ٤

(٢) يجدر الرجوع لهذا التقرير النفيس ، وهو منشور بكتاب « فلسفة الامة والالم »

للأستاذ اسماعيل مظهر ص ٢١ - ٣٠

(٣) هذا الكتاب طبع بباريس سنة ١٩٣٨ فهو مرجع له قيمة خاصة من هذه الناحية ،

أعنى من ناحية نشره في هذه الأيام التي نعيش فيها ، فلا يقال عنه إن تطاول الزمن عليه غير
بعض ما به .

المدخل

لم يكن التفكير الغربي منعزلاً عن التفكير في العالم كله في أى عصر من العصور ، ولا حتى تفهم هذا تمام الفهم يجب أن نعرف ما يراد بكلمة « الغرب » ، قد يقال باجمال إن هذه الكلمة تدل على أوروبا في مقابلة آسيا ، لكن هذين التعبيرين - أوروبا وآسيا - تنقصهما الدقة . لقد اعتبر الاغريق جزئى العالم هذين متقابلين كضفتى البسفور والدردنيل ، وإن كانت جزر الأرخيبيل اليونانى - أى جزر بحر إيجه - تجعل بينهما شيئاً من الاتصال ، أما فى رأينا فإن جبال الأورال هى التى تحد بين أوروبا وآسيا ، وتقوم بينهما فاصلاً وهمياً على المصور الذى يرسمه الجغرافى ، أما فى الحق فليس هناك أوروبا وآسيا ، بل هناك « أوراسيا » التى تكون منها أوروبا الطرف الغربى ، والتى تشمل الضفة الجنوبية للبحر الأسود رغم أنها من القارة الآسيوية فى رأى رجال علم تقويم البلدان .

ولسنا فى حاجة للنقاش فيما إذا كانت أفريقيا تابعة للغرب أو للشرق ؛ فللغرب الأقصى حضارة شرقية على وجوده فى غرب العالم القديم ، أما أفريقيا الشمالية - أى الضفة الجنوبية من البحر الأبيض المتوسط - فقد كان شاطئها الشمالى متضامناً مع أوروبا ، وشاطئها الشرقى متضامناً مع آسيا . من أجل هذا وذلك لنا أن نقرر أن الغرب هو تلك البلاد التى ربطها البحر الأبيض وصهرها فى بوتقة واحدة ، وأن الوصف الصحيح لحضارتنا هو أنها الحضارة التى أخذت طابع البحر الأبيض المتوسط ، لا حضارة أوروبا وحدها .

إن هذه الاعتبارات من شأنها أن تشجعنا على أن ننقد نقداً شديداً المزاعم الباطلة أو الجهل العتيد الذى يجعل معرفتنا بأنفسنا باطلة لا تقوم على أساس علمى صحيح . فالحضارة الخاصة بالبحر الأبيض المتوسط ليست حضارة أوربية بحتة إذًا ، بل هى مزيج من حضارات أوروبا وآسيا وأفريقيا على درجات مختلفة . لهذا يكون مما لا بد منه لصالح العمل الذى نقوم به أن نضرب صفحاً عن تلك الأوهام الجغرافية ، ونبعد عنها بحثنا ، كما يجب كذلك أن نحذر الوقوع فى أخطاء أخرى قد تجرنا إليها بعض الأوهام القوية واللغوية .

لقد سار فى القرن التاسع عشر الإيمان بتصنيف شعوب العالم الى عناصر أو أجناس مختلفة ، ونحن لا نريد أن نعارض ما جاء به علم الأجناس البشرية من أسانيد يدعم بها ما يذهب اليه ، إلا أننا نعلم علم اليقين أنه لا وجود للعناصر النقية إلا فى بعض حالات على درجة كبيرة من القدرة والتحديد ، وإذا فالأمور الدقيقة المنسوبة الى العناصر لا وجود لها إلا فى الميدان اللغوى . ومن الجلى الذى لا حاجة الآن للتدليل عليه أن هذه الملاحظات تنطبق حتماً على محيط البحر الأبيض المتوسط بأسره وهو مركز عالمنا ؛ وفى الشمال وفى الشرق نجد شعوباً متشككة

باللغات الهندية الأوروبية جاورت أخرى ذات لغات سامية أو لهجات أفريقية لا تتصل الى السامية بصلة .

لنقدر إذاً أنه من الخطأ أن يعتمد مؤرخ الفكر الى البحث عن مبادئ تقوم على اعتبار الأجناس أمورا واقعة فعلا تفصل بين شعب وآخر في الثقافة والنفسكبر . ويجب أن تترك لعلماء الأجناس البشرية ، وللغويين ، ولرجال الآثار معا مهمة كشف خبايا ما قبل التاريخ ، سائر خطوة خطوة من التاريخ الثابت الى التاريخ المشكوك فيه ، ذلك بأن تاريخ الفكر لا يبدأ إلا مع تاريخ اللغات التي هي طرق للمعارف ، ووسائل لها .

ولنا أن نستنتج من هذا كله أن الأمم السامية الكبرى التي قامت في بلاد ما بين النهرين وكذلك العرب الرحل من جهة والمصريون من جهة أخرى ، قد ساهموا جميعا في حضارتنا ، إذ أن جميع طرق آسيا تفتنى الى البحر الأبيض المتوسط ، كروافد النيل الكبرى . والسبب الوحيد الذي أدى الى تجاهل هذه المعارف والأمور الأولية هو ذلك الجهل الناشئ عن التخصص والانحصار في دائرة معينة من العلوم ، وإن كنا لا ننكر أن التخصص لابد منه في ميدان العلم ، فمن جهة كان مؤرخو الفكر جاهلين باللغات القديمة التي ظلت زمنا طويلا عسيرة المنال ، فكان ذلك عقبة كؤودا في سبيل الوصول الى نتائج صحيحة فيما كان يبحثون فيه لما نعلمه جميعا من دلالة اللغة على تفكير الأمة التي تتكلم بها ؛ ومن جهة أخرى كانت ميادين كثيرة للمعرفة — كالعلوم اليونانية والمصرية القديمة والعبرية والدراسات الخاصة بشعوب ما بين النهرين — منعزلة بعضها عن بعض ، وكان من ذلك أن كان العلماء يبحثون التفكير في كل أمة من تلك الأمم باعتبارها وحدة قائمة بذاتها لا تتأثر بغيرها ولا تؤثر فيها ، فاستمر الجهل بما يرتبط التفكير العالمي من صلات .

وسواء قيل إن هذا أو ذلك من اليونانيين الهيلينيين الذين كانوا قبل سقراط قد رحلوا الى مصر أو آسيا الصغرى وأفادوا منهما ، فهو أمر لا خطر له أمام الحقيقة المؤكدة ، وهي أن شعوب الشرق جميعا كانت في تلك الأزمان تعيش في وسط مشترك ، وإذا فوطن هذه الفلسفة الاغريقية المشتركة كان آسيا . ولما كان قادة الحضارة من أصل شرقي أسوي أو مصري أو قبرصي أو كريت قبل ظهور شبه المعجزة اليونانية ، فلا غرابة إذا علمنا أن الرواد الأول للفلسفة قد قاموا برحلاتهم العلمية ، إما في الأناضول أو على معارج الشرق ، أو كانوا من إيونيا من أعمال آسيا الصغرى . حتى في مناطق السند والكنج ، فإن كلمة « يافانا » التي تشير الى اليونانيين ، فيها دلالة واضحة على الدور الكبير الذي قامت به إيونيا في الحضارة الاغريقية ما

محمد يوسف موسى
المدرس بكلية أصول الدين

التضامن الاجتماعي

جسم الشخص الواحد أعضاؤه متضامنون ، فإذا اشتكى عضو منها تداعت له سائر الأعضاء ، وتعاونت على أمداد ذلك العضو بأنواع المساعدات ، وتظل على ذلك الحال حتى يبرأ . وأفراد الأسرة الواحدة إذا ألمت بأحدهم كارثة ، أو أصابته نعمة ، كان الجميع مشتركاً في المساءة والمسرّة بنسبة واحدة .

والقربة الواحدة كذلك تكون وحدة متضامنة في النعيم والبؤس ، إن كانوا حاصلين على درجة راقية من الأدب الاجتماعي .

والشعب وحدة مؤتلفة ، تشمر بارتباطها وتتخذ من جماعاتها فيالق ، يتجه بعضها إلى العمل والانتاج ، وغيرها للتفكير والاختراع ، وطائفة للحماية والدفاع ، وهكذا .

فهذا العمل الذي تقوم به كل وحدة من تلك الوحدات ، وتنساق إليه بغريزتها ، هو التضامن الاجتماعي الذي هو سبب بقائها ، فلو لم يكن تعاون بين أعضاء الجسد الواحد ، ولا بين أفراد الأسرة ، ولا بين جماعات الشعب كما ذكرنا ، مرض الجسم ومات وانحلت وشانج البيت ، وتفككت أواصر وثامه ، فيبقى تروابطه ويصبح فريسة للطامعين .

فالتضامن الاجتماعي وسيلة لتيسير الحياة الإنسانية ، وسبب للرقى والتطور ، وأصل لمجادة الدول وارتقاء الشعوب .

قد تدخل قربة من القرى فتسمع ضجة كبيرة ، وتشهد الوجوه مقطّبة ، والعيون حائرة ، والأفئدة هالعة ، فتبحث عن السرّ فتعرف أن أحد رجالها قد مات . وقد ترحم السيارات والعربات والمطايا متجهات صوب بلد من البلاد على صورة غير عادية ، فتسأل ما الذي حمل هؤلاء الناس على ذلك التزاحم ، فتعرف أنهم وفود من المهنيين . وإذا خلوت إلى نفسك وفكرت في الأمر لتعرف العلة الباعثة لهؤلاء على ما فعلوا ، لعرفت أنه التعاون الإنساني الفطري ، ولو سألت واحداً من هؤلاء قائلاً : ما الذي حملك على إضاعة وقتك ، وإنفاق مالك ، وليس من تسعى له من أقربائك ، لأجابتك من فوره وبلا روية : أنه وحي الشعور ، أنه طامعة الإنسان نحو أخيه الإنسان ، فتؤمن بأن الإنسانية إذا لظفت أحاسيسها صدر عنها كل خير وجميل ، وهناك أمر آخر يدلك على أن التضامن فطري ، فقد تشهد فرداً يسرف في ماله ، وآخر يرشده إلى ترك الإسراف ، ويعلمه مزايا الاقتصاد ، ثم تسمع المصرف يرفض النصح ، ويأبى الاسترشاد في قحة وعنف وسوء أدب ، فتقول للناصح له : وماذا يضرك من إسرافه ، وما الذي يؤلمك . أفلس ؟ فيجيبك من فوره قائلاً : أليس هو واحداً منا ، ألا ترى أنه سيصبح عالة على

المجتمع الذي أنا أحد أفرادة ؟ فترى نفسك أمام جواب متفلسف حكيم . وهناك نوع آخر أيضا ، فالزكاة التي فرضها الله على الناس إنما كان تشريعها إرشادا الى التضامن الاجتماعي ، فليس السر في تشريعها عون الفقير وسد حاجة المحتاج فحسب ، كما علل بذلك بعض الناس ، وإنما شرعت لتكون حصنا يأوى إليه كل فرد عركته الاحداث ، وضرسته الخطوب ، ونفجر من معركة الحياة هزيمًا ، فإذا لم يجد حصنا يأوى إليه فإنه لاشك هالك وبهلك معه كثيرون .

ألا ترى أن حظ الغنى من تلك الذريعة لحظ الفقير سواء بسواء ، إذ أن الغنى لا يضمن بقاء الغنى ، والقوى اليوم لا يعرف ما خبأ له القدر المستور المفيب ، فقد تفاجىء الغنى أحداث تجرده من كل ما يملك ، فلا يجد مأوى سوى حصن الزكاة يلجأ إليه ، ليستعيد قوته ونشاطه ، ويعود الى صراع الأيام ليظفر بالحياة بعد .

وها هو ذا نوع من أنواع التضامن الاجتماعي ، فإن الفرد من بني الانسان قد يعتزم ارتكاب جريمة ، فترى الجمهور قد اتجه يداوا واحدة وقلبا واحدا يدفعه عنها ، ويمنعه ارتكابها ، وتلك الجريمة لو وقعت إنما يقتصر ضررها على فرد واحد أو فردين ، فتقول ما الذي دفع هؤلاء الى تلك الثورة والتضحية في سبيل منع وقوع الجريمة ؟ فتسمع الجواب أن أخا في الانسانية سيصاب بمكروه ومن واجب الانسانية دفع الشر عن الانسانية ، فتشهد تضامنا اجتماعيا من أدق الأنواع .

أن القاضى الذى يفصل بين الناس في أفضيتهم فيحكم بالسجن أو بالاعدام . أو بالفرامة محقق لمعنى هذا التضامن الاجتماعي ، لأنه يظهر جسم المجتمع من الشرور والمفاسد ، ويقدم للهيئة الاجتماعية إنسانا كاملا ، أو يربحها من إنسان شرير إذا بقى حيا أمات العشرات والمئات . والطبيب الذى يعمل مبضغه في جسم المريض فيمزقه بين صراخ وبكاء ، ليخرج منه الداء العقام ، متضامن مع الهيئة الاجتماعية كذلك ، لأنه أنقذ فردا من أفرادها كان عرضة للهلاك ، فلم يفقد المجتمع أحد أفراد .

وكل جماعة أدبية تتألف في المجتمع ، تعتبر متضامنة مع المجتمع في تطهير جسم الشعب من عادات قبيحة وتعويد أفرادها أحسن العادات ، وتجميله بأفضل الشيم والأخلاق ، كل هؤلاء وأولئك متضامنون تضامنا اجتماعيا لا مصرية فيه . أرأيت لو أن الناس لم يتأسوا في أفراحهم وأحزانهم ، وتركوا الناس يعيشون بأموالهم ، والمجرمين ينفذون ما اغتزموه من الجرائم ، والقاضى لم يفصل بين الناس بالقسطاس المستقيم ، والطبيب لم يؤد واجبه ، والجماعات الأدبية لم تؤد رسالتها ، أكان الناس يهناون في الحياة وينعمون بما ترى ونشهد من حضارة ونظام ، أعتقد أنه لو لم يقم كل فريق بما يحتمه عليه واجبه في الحياة ، لانتقلب نعيم العيش بؤسا ، واستحال اليسر والرخاء عسرا وشقاء ، وما كان عمل كل هؤلاء إلا تضامنا اجتماعيا دعت اليه الفطرة وحتمته الطبيعة .

وقد ألهمت هذا التضامن الحيوانات المجاء ، فكان سلاحها في الحياة ووسيلتها إلى العيش : أن دولة الذئب في أوروبا إذا اشتد بها الجوع تكونت زمرا وجماعات ، وأغارت على القرى تتطلب الفوت .

ثم ألم تر الى تلك الكرة الطافية على وجه الماء تدور حول نفسها ، وقد تكونت من أفراد النحل فسلمت من الغرق ؟ إن تكورها وسيلة للسلامة من الغرق ، فلو لم تتكور وظلت متفرقة لطفأ الماء عليها فهلكت . وأن دورانها حول نفسها تضامن اجتماعي من أدق أنواع التضامن ، ألا ترى أن القسم الأسفل الملاصق للماء عرضة للموت بأسفليكسيا الغرق ، فإذا ما دار وبرز من الماء الى الهواء سلم من الموت ، فينزل مكانه القسم الأعلى حتى إذا ما أشرف على الاختناق كان في طريقه الى الصمود ، واستنشاق الهواء والسلامة من الغرق .

وإن لنا في مملكتي النحل والنمل لعبرة ، ففي توزيع الأعمال لديها ، وتنسيقها ، واختصاص كل فريق بعمل لا يتخلف عنه ، دليل على التضامن الاجتماعي ، فما ذكرت من تلك الألوان الكثيرة في التضامن الاجتماعي يبين حقيقته وأنه ضروري للحياة .

ولما كان التضامن الاجتماعي أنواعا كثيرة ، أردت أن أسرد طائفة منها ، لأتقذ من ذلك الى المقصود لي من التناهي عن المنكر ، والتواصي بالخير والبر ، فأقسام التضامن منها :

(١) التعاون عند المعات ، والمشاركة في المعمرات .

(٢) العمل على جلب البر للانسانية ودفع الضر عنها .

(٣) الاحساس بألم الانسانية ، والشعور بمساءتهم ، احساسا وشعورا يدفعان صاحبهما الى دفع الألم والمساءة عن المعنوين بهما .

(٤) الدعوة لإصلاح الأوضاع الملتوية ، والنظم المعوجة .

(٥) التواصي بالخير ، والتناهي عن المنكر .

والمعنى لنا من هذه الأنواع هو النوع الأخير الذي نوه الله عنه في كتابه إذ يقول في قوم هالكين : « كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون » ، ويقول جل من قائل : « واتقوا فتنة لا تصيبن الدين ظلموا منكم خاصة » . فهذا القرآن الكريم يحث على التضامن وبين أن التخاذل سبب في البلاء ، وتحمل الأمم ، وتدهور الشعوب ، فالتضامن أمة إلا سلمت وارتقت . وما تحاذلت أمة إلا تفرقت كلمتها ، وذهب ريحها ، وأصبحت أحاديث .

نحن هنا في الشرق العربي مهد الحضارات ، ومبعث النبوات والهدايات ، فن واجبنا أن نكون في طليعة الدول المتسابقة في مضمار الارتقاء ، ولن يكون لنا هذا إلا بالتضامن .

مصدر الخيرات والبركات .

وما لنا لا ننضامن تضامنا وثيقا وقد ألحت على الشرق أمراض خلقية ، وفشت في اجتماعنا عيوب ومنكرات ، جعلت مجدنا النالد ، حديث الالامس وأفصوصة التاريخ ؟

لقد ثقلت علينا الحياة فطلبنا لها في الخيال الكاذب ، وأعجزتنا المعالجة الصحيحة ، فالتسناها في الأمل والخيال ، فلم يسعدنا أمل ولم ينهض بنا خيال ، أحس خطورة الحال رجال مخاصون لله وللوطن ، وأدركهم أن يروا الجبل ينحدر وهم ساكتون ، فهبوا هبة ميمونة وكونوا من مجموعهم فيالق الانتقاذ ، واتجه كل فيالق الى ناحية من نواحي المنكر . وها نحن أولاء الآن نرى صراعا عنيفا بين الناحيتين ، وأكبر الظن أن ستقتصر تلك الفيالق على جنود المنكرات ، ستبدها وتذهب بها ، فينهض الشرق ويخطو الى الامام .

هذا فيلق رابطة الاصلاح الاجتماعي قد اتجه الى اصلاح الطفولة ، وتهذيب منابت الاطفال ؛ وهذا فيلق منع المسكرات اتجه الى حفظ العقل والمال وقوة الارادة ؛ وذلك فيلق منع البغاء والقضاء عليه اتجه الى حفظ الاعراض والانساب بربد حياتها ؛ فيلق من الحصانة منين ؛ وهذا فيلق رابطة منع التدخين قد اتجه الى تطهير الشعب من سيء العادات ، وإلى حفظ القوة الحيوية ، وتلك فيالق تكون بمجموعها جيشا لجبا خليقا أن يمحى الرذيلة ويقر الفضيلة مكانها إقرارا ، فيحفظ على الشعب دينه وماله وكرامته ، وخلقه وعرضه ، وأخلق بشعب توجد فيه تلك الفيالق أن يفوز بكرامة الوجود ؟

مصطفى الصاري

مركز تحقيق كاتوير علوم ردي مدرّس بالأزهر

الضن بالكرامة

كان سعيد بن عتبة بن حصين إذا حضر مجلس أحد من السلاطين جلس جانبا ، فقبل له إنك لتباعد من الآذن جهلك .

فأجاب سعيد : لأن أدعى من سعيد خير من أن أقصى من قريب ؛ ثم أنشد :

فان مسيرى في البلاد ومنزلى	هو المنزل الأقصى إذا لم أقرب
ولست وإن أدنيت يوما ببائع	خلاقى ولا دينى ابتغاء التحبب
وقد عده قوم تجارة راجح	ويعنى من ذاك دينى ومنصبى

وما لنا لا ننضامن تضامنا وثيقا وقد ألحت على الشرق أمراض خلقية ، وفشت في اجتماعنا عيوب ومنكرات ، جعلت مجدنا النالد ، حديث الـأس وأقصوصة التاريخ ؟

لقد ثقلت علينا الحياة فطلبنا لها في الخيال الكاذب ، وأعجزتنا المعالجة الصحيحة ، فالتسناها في الأمل والخيال ، فلم يسمعنا أمل ولم ينهض بنا خيال ، أحس خطورة الحال رجال مخاضون لله وللوطن ، وأرقهم أن يروا الجبل ينحدر وهم ساكتون ، فهبوا هبة ميمونة وكونوا من مجموعهم فيالقي للانقاذ ، واتجه كل فيالق الى ناحية من نواحي المنكر . وها نحن أولاء الآن نرى صرانا عنيفا بين الناحيتين ، وأكبر الظن أن ستمتصر تلك الفيالق على جنود المنكرات ، ستبدها وتذهب بها ، فينهض الشرق ويخطو الى الامام .

هذا فيلق رابطة الاصلاح الاجتماعي قد اتجه الى إصلاح الطفولة ، وتهذيب منابت الاطفال ؛ وهذا فيلق منع المنكرات اتجه الى حفظ العقل والمال وقوة الإرادة ؛ وذلك فيلق منع البغاء والقضاء عليه اتجه الى حفظ الاعراض والانساب يريد حياطتها -بإيج من الحصانة منين ؛ وهذا فيلق رابطة منع التدخين قد اتجه الى تطهير الشعب من سيء العادات ، وإلى حفظ القوة الحيوية ، وتلك فيالق تكون بمجموعها جيشا لجبا خليقا أن يمحى الرذيلة ويقر الفضيلة مكانها إقرارا ، فيحفظ على الشعب دينه وماله وكرامته ، وخلقه وعرضه ، وأخلاقه بشعب توجد فيه تلك الفيالق أن يفوز بكرامة الوجود ؟

مصطفى الصاوي

مدرس بالأزهر

الضن بالكرامة

كان سعيد بن عتبة بن حصين إذا حضر مجلس أحد من السلاطين جلس جانبا ، فقيل له إنك لتباعد من الآذن جهلك .

فأجاب سعيد : لأن أدعى من بعيد خير من أن أقصى من قريب ؛ ثم أنشد :

فإن مسيرى في البلاد ومنزلى	هو المنزل الأقصى إذا لم أقرب
ولست وإن أدنيت يوما ببائع	خلاقى ولا دينى ابتغاء التحب
وقد عده قوم تجارة رابح	ويعننى من ذاك دينى ومنصبى

نقد النثر

وشخصية مؤلفه المجهول

«نقد النثر» كتاب رائع في البيان وأساليبه وفنونه من نثر وشعر وخطابة وجدل ومحادثة وفي البلاغة وحقيقتها وأوصافها ومظاهر الجمال فيها .

والكتاب ينطق عن ثقافة مؤلفه الواسعة ، وإلمامه البعيد بالكثير من علوم الدين والعربية ، وعلوم الفلسفة والكلام . وقد نأثر مؤلفه فيه أكثر ما تأثر بكتاب الخطابة لأرسطو ، وكتاب البيان للجاحظ ، وهو أول مؤلف كامل في البيان يطلعنا على التطور التأليفي في هذا العلم .

وقد تولت كلية الآداب نشره في عام ١٩٣٢ ، وكتب أستاذان من أساتذتها مقدمتين له ؛ وقد اعتمدت في نشره على صورة فتوغرافية للنسخة الوحيدة المخطوطة والمحفوظة بمكتبة الاسكوريال تحت رقم ٢٤٢

وقد نارت ضجة كبيرة حول مؤلف هذا الكتاب ، واختلف في ذلك العلماء اختلافا كبيرا ؛ فالمرحوم الأستاذ الشنقيطي (١) والأستاذ العبادي (٢) يتابعان بعض المستشرقين في أن الكتاب لقدامة بن جعفر سنة ٣٣٧ هـ . ولكن بروكلمان ودرنبرغ يريان أن الكتاب لتلميذ لقدامة ورد اسمه على الصفحة الأولى من النسخة الخطية للكتاب ، وهو أبو عبد الله ابن أيوب ، ويتابعهما في ذلك هيوار . أما الأستاذان اني دلافيدا ، وكراشوفسكي فيريان أن ابن أيوب رجل اندلسي عاش بعد قدامة بعهد طويل ، وأنه استمد نقد النثر من مؤلفات قدامة . ولكن بعض المستشرقين يقفون في بحتمهم موقف الشك ، ويتابعهم في ذلك الدكتور طه حسين .

وبين هذا الاختلاف الكثير ، يجد الباحث مشقة عسيرة في الوصول الى نتيجة حاسمة في ذلك المجال الغامض العسير .

ولكن متابعة البحث والاستفادة من البحوث التي أذاعها الأستاذ الكبير الشيخ محمد عرفه في محاضرة له بكلية اللغة ، والتي أنجز فيها الى نفي نسبة الكتاب لقدامة ودمغ ذلك بحجج قوية ؛ كل ذلك يؤدي بنا الى ثلاث نتائج خطيرة .

(١) تقرير رقم ٢٤٣ مكتبات بدار الكتب المصرية . (٢) ص ٤٢ مقدمة نقد النثر للأستاذ العبادي . الطبعة الثانية (٣) دائرة المعارف الاسلامية مادة قدامة .

أولاً : أن الكتاب ليس لقدامة ، ولا يمكن أن يكون له ، وأدلتنا على ذلك :

(أ) لم يذكر قدامة فيما وصل إلينا من كتبه أن له كتاباً بهذا الاسم ولا في ذلك الموضوع نفسه ، وقد أרך لقدامة علماء كثير كابن النديم - وهو أقربهم عهداً به - وكالخطيب البغدادي وابن خلكان وسوام ، ولم يذكر أحد منهم أن له كتاباً بهذا العنوان ، مع أنهم ذكروا كتابه « نقد الشعر » وعنوا به وحفظوا بهذه العناية بعض العلماء على شرحه والتعليق عليه .

(ب) ومن العسير أن يؤلف مؤلف كتابين في موضوع واحد كالنقد ثم لا يحيل القارئ في أحد كتابيه على الآخر ، مع أن مؤلف « نقد النثر » يحيل على كتبه الأخرى كثيراً . (١)

(ج) على أن شك العلماء والباحثين في نسبة الكتاب لقدامة ، وجزم بعضهم جزماً يعتمد على الدليل بأن الكتاب ليس له ، كل ذلك ينفي أن يكون الكتاب لقدامة .

(د) وشخصية قدامة شخصية مستقل في آرائه المحدد في بحوثه ، كما نعرفه في كتابه « نقد الشعر » الثابتة نسبه له ، أما شخصية مؤلف نقد النثر كما تبدو من الكتاب فهي شخصية المحتذى لغيره ، يظهر ذلك في احتذائه للجاحظ وكتابه « البيان والتبيين » وأخذه الكثير عنه في كل فصل وباب ، كما يظهر ذلك في احتجاجه بآراء أرسطو واقتباسه من كتاب « الخطابة » .

(هـ) والاتجاه السياسي والديني لمؤلف نقد النثر هو الاتجاه الشيعي فهو يشيد بعلي وذريته كالحسن والحسين والباقر والصادق والرضا . وقدامة بعيد كل البعد عن ذلك الاتجاه ومظهر ذلك كتابته التأليفية في « نقد الشعر » (٢) ، على أن مكانته البارزة في الدولة العباسية ومهامه الإدارية في ديوانها كانت تحول بينه وبين الانضمام إلى أعداء الدولة من الشيعة ؛ وليس من المعقول أن يكون ذلك الاتجاه جديداً على قدامة قد اضطرت إليه الأحداث السياسية التي حدثت في آخر حياته باستبداد بني بوية بالخلافة العباسية سنة ٣٣٤ هـ ، فخلق قدامة وقصر المدة بين وفاته وقيام الدولة الجديدة مما كان يحول بينه وبين هذا الانقلاب .

(و) وثقافة قدامة ثقافة عقلية صبغت بصبغة الأدب ، وهو في نقد الشعر أعمق بحثاً وأكثر فهماً للشعر وعناصره ، وهو فيما وضع من موازين للنقد متأثر باتجاهه العقلي الفلسفي ، وكثيراً ما يخطئ في تطبيقه الموازين العقلية الجامدة على العاطفة الشعرية الحية ، كما يظهر ذلك في « نقد الشعر » .

أما ثقافة مؤلف نقد النثر ، فهي ثقافة أدبية علمية صبغت بصبغة الفلسفة ، واتجاهه العقلي أكثر تأثراً بثقافة المتكلمين منه بثقافة الفلاسفة ؛ وثقافته الدينية واسعة فهو مؤلف في أكثر علومها ، حتى لقد حاول الاستفادة من ورثائها في فهم البيان ودراسته ، وهذه ناحية جديدة بعيدة عن قدامة كل البعد (١) .

(١) محاضرة الأستاذ عرفة .

(ح) ومنهج قدامة في النقد - كما نراه في « نقد الشعر - منهج تفصيلي طريف ، فقد عني فيه أولاً بإحصاء مظاهر الأداء البياني التي تمس الفكرة وترضى العقل وتنتجها الى سلامة المعنى ، مما تأثر به ابن سنان الخفاجي من بعده في بحثه البياني في بلاغة المعاني (١) .

ولكن منهج مؤلف « نقد النثر » في نقد البيان منهج إجمالي خصب ، أنجز فيه صاحبه الى بحث ألوان البيان وفنونه عامة ، والى بحث البلاغة وعناصرها ، والى تطبيق نظرية المطابقة لمقتضى الحال على الشاعر والنثر والخطيب ، وهو في هذا الاتجاه الإجمالي لا يجيد البحث التفصيلي في مظاهر الجمال .

(ط) وأسلوب قدامة أسلوب مرسل بعيد عن السجع والازدواج .

أما أسلوب مؤلف « نقد النثر » فأسلوب أديب حريص على السجع ، فإن لم يواته السجع واتاه الازدواج (٢) . والتفاوت بين الأسلوبين دليل قوي على أن الكتابين لشخصيتين مختلفتين (٣) ؛ وشتان بين أسلوب رجلين : فيلسوف يتأدب ، وأديب يتفلسف ؛ والمقارنة بين البحوث المشتركة في الكتابين تؤدي الى ما تذهب اليه (٤) - وإن قل ما بينهما من اشتراك - ، فبين كل من الكتابين تبين كثير من الموضوعات المشتركة : في الاتجاه والروح وفي العرض والتحليل ، فيبحث كالتشبيه في نقد الشعر ، ما بين لنفس هذا البحث في نقد النثر (٤) ، والاستعارة عند مؤلف نقد الشعر غيرها عند مؤلف نقد النثر (٥) ، وجمال الشعر عند قدامة غيره عند مؤلف نقد النثر ، ومن العسير على الباحث أن يأخذ هذا الاتفاق في الموضوعات على علته كدليل على أن الكتابين لمؤلف واحد ، فالدراسة المقارنة لهذه البحوث المشتركة ، هي وحدها الحكم في شخصية المؤلفين ومصدر الكتابين .

ثانياً :

(١) أبو عبد الله محمد بن أيوب بن محمد الذي ورد اسمه في الصفحة الأولى من النسخة الخطية للكتاب ، والذي لم يهتد لشخصيته الكثير من الباحثين ، والذي زعم بعض المستشرقين أنه مؤلف الكتاب هو فقيه وقاض أندلسي عاش ما بين ٥٣٠ - ٦٠٨ هـ (٦) ؛ فليس هو تلميذا لقدامة كما ذهب إليه بروكلمان وسواه .

(ب) وليس ابن أيوب هذا هو مؤلف الكتاب كما ذهب إليه درنهورع : وهيوار ولقي دلافيدا وكركشوفسكي وسوام ، ودلينا على ذلك :

١ - ثقافة الكتاب وروحه واتجاهه وبحوثه والأعلام الواردة فيه تؤكد لنا تأكيداً

(١) راجع سر الفصاحة . (٢) راجع مثلاً ص ٥ نقد النثر . (٣) محاضرة الأستاذ عرفة .

(٤) ٦٥ نقد الشعر ، ٥٨ نقد النثر . (٥) ١٠٤ - ١٠٦ نقد الشعر ، ٧٠ نقد النثر .

(٦) تكملة الصلة لابن الأبار ج ١ ص ٢٩٧ - ٢٩٩

٢ - يأخذ ابن سنان الخفاجي في كتابه مر الفصاحة وعبد القاهر الجرجاني في كتابيه الأسرار والدلائل بعضاً من الآراء المبسوطة في الكتاب ؛ فنهج عبد القاهر في الدفاع عن الشعر (٦) وفي تقسيم التشبيه [٧] هو منهج مؤلف نقد النثر (٨) ؛ والرأي الذي ناقشه ابن سنان - من أن اللائح مجاز مواضع وللأطناب مواضع - هو الرأي الذي بسطه مؤلف نقد النثر [٩] ؛ ولا يعقل أن يأخذ هذان العالمان من ابن أيوب وهو في القرن الخامس ، وهما في السادس والسابع .

ثالثاً : وإذا كان الكتاب ليس لقدمته ، ولا لابن أيوب فلمن هو إذاً من العلماء ؟
لقد واليت البحث في ذلك ، وخلصت أن الكتاب قد يكون لتلميذ لقدمته تأثر فيه بأراء
أستاذه في النقد والبيان ، فحمل بعد عصره على أن الكتاب لأستاذه ، وسمى « نقد النثر »
مشاكلة لاسم كتابه الآخر المعروف « نقد الشعر » وإن كان اسمه في الحقيقة « البيان » ؛
ولكن البحوث التي قمت بها طويلاً أثبتت عندي خطأ هذا الظن .

وجعفر هذا هو أحد مشايخ الكتاب وعلمائهم وافر الأدب حسن المعرفة وله مصنفات في صنعة الكتابة وغيرها (١٠) ؛ والأدلة التي تؤكد هذا الرأي هي :

- (•)

١ — ثقافة الكتاب العلمية لا تدل على انه من معين ثقافة القرن الرابع الواسعة وإنما تدل على أنه قد ألف بعد عصر الجاحظ سنة ٢٥٥ هـ وفي أواخر القرن الثالث الهجري ؛ والأعلام الواردة في الكتاب والتي لا تتجاوز ذلك التاريخ أمصدق شاهد على ما نقول ؛ وتأليفه في معارضة كتاب البيان للجاحظ (١) مما يزيد ذلك قوة .

٢ — وكثير من مؤلفات جعفر قد نسب لابنه قدامة خطأ (٢) ؛ كما أن بعض الباحثين قد شك في نسبة بعض كتب قدامة له ، ورأى أنها لأبيه كالمطرزي شارح المقامات والمتوفى سنة ٦١٠ هـ .

٣ — وصناعة الكتابة التي قال الخطيب البغدادي إن لجعفر مؤلفات فيها ترادف كلمة نقد النثر وكلمة البيان ، وهي اصطلاحات كانت تدل في ذلك العصر على قواعد البيان التي يضعها العلماء للكتاب ، يفصلون لهم فيها مشا كل البيان العربي وبلاغته ، ويرسمون فيها المذاهب الأدبية التي يجب على الكتاب احتذاؤها ، وذلك كله ما نراه مبسوطا في « نقد النثر » مما يدل على انه من مؤلفات جعفر في صناعة الكتابة .

٤ — وظاهرة التشيع التي نراها في نقد النثر لا تنبع إلا من قلب رجل لم يخلص للدولة إخلاص قدامة ، وطاش بعيدا عن مناصبها كما عاش جعفر .

ذلك رأيت في هذه الحقيقة المحبولة التي تسمى تاريخنا الفكري والأدبي أحقابا طويلا ، أنشره

على صفحات مجلة الأزهر

محمد عبد المنعم صفاء

كلية اللغة

(١) ص ١ نقد النثر

(٢) ٤٠ نقد النثر - مقدمة المبادئ

بلاغته حسان

كان حسان بن ثابت من نخول شعراء الجاهلية والاسلام . دخل وهو في عهد الجاهلية على الحارث الحفني أحد ملوك غسان ، فقال له : أنعم صباحا أيها الملك ، السماء غطاؤك ، والأرض وطاؤك ، والدي والدي فداؤك ، أنى يناويك المنذر (ملك الحيرة) ، فوالله لقدالك (القذال مؤخر الرأس) أحسن من وجهه ، ولأملك أحسن من أبيه ، ولظلك خير من شخصه ، ولصمتك خير من كلامه ، ولشمالك خير من يمينه ، ثم أنشأ يقول :

قذالك أحسن من وجهه وأملك خير من المنذر

ويسرى يدبك إذا أعمرت كيمنى يديه فلا تتمر

مُعْتَرِكُ الْفَلَسَفَةِ

العقل والشخصية الانسانية

كان العقل عند الفلاسفة الاقدمين كسقراط وأفلاطون وأرسطو ، معتبرا مظهرا للروح ، وأدل دليل على وجودها وعلى استقلالها عن الجسد ، وعلى خروجها منه بعد الموت مستقلة عنه ، وخلودها في عالم أرفع من هذا العالم .

فلما نشأت الفلسفة المادية الى جانب الفلسفة الرسمية في ذلك العهد القديم ، تجارات على إنكار الروح ، واعتبرت العقل والشخصية الانسانية خصائص للمخ وما يتفرع عنه من أعصاب ؛ وأنكرت وجود الروح مستقلة عن الجثمان ، واعتبرت كل ما يقال عن استقلالها وخلودها من الخرافات التي لا يصح أن يقيم لها وزن . ولكن بسبب قلة المعلومات الفيزيولوجية في ذلك العهد ، وسلطان العاطفة الدينية على القلوب ، لم تجد تلك الفلسفة رواجاً بين الناس . ثم جاءت المسيحية فقضت على ما بقي من أنقاض تلك الفلسفة ، فأهملتها الناس كل الإهمال ، وتناسوها كل التناسي ، حتى ولد عصر النهضة في القرن الخامس عشر ، وكان القائمون بالعلم واجدين على رجال الدين ، وحافظين لهم في قلوبهم سخائم متأججة ، لما لقيه العلماء والمفكرون من عنيتهم خلال عهد القرون العشرة الماضية ، وقويت في نفوسهم نزعة الثأر لهم ، فصارحوا الدين بالعداء ، وجرحهم ذلك الى دحض ما عليه الناس من عقائده ؛ وكلما تقدم العلم شوطاً ارتقت أدلة الدحض معها ، ومر على ذلك ثلاثة قرون بلغ العلم فيها درجة عالية ، وكثرت مكتشفاته وما ابتنى عليها من الآلات والأدوات النافعة في كل شأن من شئون الحياة ، فساد المذهب المادى في هذا الدور سيادة مطلقة ، حتى كان من يذكر الدين في تلك الأيام يرمى بالبله ، وضعف القوة العقلية .

فلما سكنت تلك الثورة النفسية ، وحدثت مكتشفات في العلم قللت من قيمة التعليقات المادية ، وثبت وجود عقل باطن في الانسان أرقى وأرفع خصائص من عقله العادى ، راجع العلماء والفلاسفة أنفسهم ، فأدركوا أن وقوفهم في مجال المادية الضيق سيفضى بالعلم الى مأزق لا يتفق وسنة التطور المودية الى بلوغه الغايات البعيدة من كشف الحقائق .

وقد انتدب رجال من كبار العلماء لبيان وجوه عدم كفاية التعليقات القديمة لكل ما يتعلق بالحياة وأصلها ، وبالاتسان وخصوصياته العقلية والنفسية ، هتكا للحجب السكينة التي وضعتها المادية على هذه الامور لتتفق وتعليلاتها الرسمية .

من هؤلاء العلماء الأستاذ الدكتور جوستاف جولييه « Gustave Geley » قال في كتابه الذي أسماه من اللا شعور إلى الشعور « De l'inconscient au Conscient » تحت عنوان : (الشخصية الانسانية معتبرة ثمرة للمراكز العصبية) : قال ما مؤداه :

« المدرك العلمى فى هذه الشئون كان مؤسسا كما هو معلوم على النظرية البسيكولوجية الفيزيولوجية وأدلتها عندهم ما يأتى » :

« النمو العقلى يطرّد مع النمو الجئمانى ، وانحطاطه التدريجى يتناسب مع الانحطاط الشيخوخى » ؛

« والنشاط البسيكولوجى يكون مناسبا دائما لنشاط المراكز العصبية » ؛

« وهذا النشاط البسيكولوجى يزول بسكون المراكز العصبية فى حالة النوم أو فى أثناء الإغماء » ؛

« والنشاط البسيكولوجى يستند على سلامة المراكز العصبية ؛ وكل ما يصيبها من أعراض على المخ ينقص من النشاط النفسى أو يحذفه » ؛

« وهذا النشاط النفسى مرتبط ارتباطا وثيقا بجدي الخصائص العضوية ، بحيث لا يفارقه . ولما كانت العناصر التى يستخدمها العقل تأتى إليه من الحواس ، فيكون مدى قدرة الحواس ممددة لمدى قوة العقل » ؛

« وكل الخصائص النفسية تنزل من انطباعها فى مراكز من المخ واضحة غاية الوضوح . فإذا أصاب أحد هذه المراكز ما يلاشيه ، تلاشت الخاصية العقلية أو النفسية التى تقابلها » .

« هذا هو المذهب الرسمى لترباط الحالة النفسية بالحالة الفيزيولوجية ، وهو مذهب اعتبر لا يقبل الجدل مدة طويلة . ولكن طرأت صعوبات خطيرة فى أيامنا هذه تشكك فى هذا المذهب لفتت الأنظار وهى :

مشاهدات بيكولوجية طبيعية مناقضة

لنظرية الترابط بين البسيكولوجيا والفيزيولوجيا

« إن هذا الترابط المزعوم إذا حُلل تحت ضوء المشاهدات الجديدة ، لا يظهر وثيقا إلى الحد الذى يتخيلونه عليه ، فان كل المحاولات التى قصد بها إثبات وجود المراكز المخية للخواص العقلية ، أفضت على الرغم من بناء الآمال عليها ، إلى نصف خيبة ، إن لم نقل إلى خيبة تامة . فان دراسات (بيير مارى) و(موتيه) أثبتت أن التركيز الذى كان يعتبر أكمل تبوتا من ... ، وهو الخاص بالتسكلم ، يستند على عملا مشتركا بين عدة مراكز .

« وقد دلت بعض الأعمال التشريحية المرضية على أن حرمان المريض من جزء عظيم من مخه ، في الناحية التي كان يظن أنها أساسية ، لم يفض الى حدوث أية إصابة نفسية خطيرة ، ولا أى نقص في الشخصية .

« وإليك أمثلة من أشهر الحوادث في هذا الباب ، أقتبسها من مجموعة مجلة التاريخ السنوى للعلوم النفسية الصادرة في يناير من سنة ١٩١٧ جاء فيها أن :

« العلامة (آدمون برييه) قدم للمجمع العلمى الفرنسى في جلسته التي عقدت في ٢٢ من ديسمبر سنة ١٩١٣ مشاهدة للدكتور (روبنسون) خاصة برجل عاش سنة بمخ استحالة الى عجيبة مستوعبة بخراج ممد ، ولم يشعر بألم يذكر ، ولا بأقل اضطراب عقلى .

« وفي يولية من سنة ١٩١٤ قدم الدكتور (هولابو) Hollapeau الى الجمعية الجراحية تقريرا عن عمل جراحى أجرى في مستشفى (نيكر) لشابة سقطت من عربة المترو ، شوهد فيه بعد فتح الجمجمة أن جزءا عظيما من المادة المخية استحالة الى عجيبة بمعنى هذه الكلمة . فظهر ما بقى من المخ ، واقتلت الجمجمة ، فشفت المريضة وعادت الى ما كانت عليه .

« وإليك الآن ما نشرته الجرائد الباريزية في مناسبة انعقاد المجمع العلمى الفرنسى في ٢٤ مارس من سنة ١٩١٧ تحت عنوان (بتر جزء من المخ الانسانى) قالت :

« قدم الدكتور (جيبان) من باريز الى المجمع العلمى ، متابعا تقاريره السابقة في هذا الموضوع المخالف للآراء التي كانت سائدة الى الآن ، تقريرا جديدا في موضوع هذه المسألة ، ذكر فيه أن الجندى « R. » الذى عمل له عملا جراحيا ، هو الآن يعمل بسنانيا في حديقة بقرب باريز ، على الرغم من بتر جزء عظيم من النصف الايسر من مخه ، بما فيه المادة القشرية والمادة البيضاء والنوى المركزية الخ . وهو الآن يعيش متمتعا بكامل عقله ككل إنسان تام المخ ، على الرغم من البتر الذى أصابه في مخه ، ومن رفع البروزات المعتبرة مراكز للوظائف الأصلية للمخ . بهذه المشاهدات النموذجية ، والتسع المشاهدات المشابهة لها ، التي علم بها المجمع العلمى ، يرى الدكتور (جيبان) أنه يمكن أن يستنتج منها اليوم دون أن يتهم المستنتج بالتطرف ما يأتى .

« أولا ، أن البتر الجزئى للمخ عند الانسان ممكن ، وسهل سهولة نسبية ، وينجى بعض المصابين بجروح فيه من الموت ، وهو ما كانت تعتبره السكتب الرسمية الجراحية مؤديا الى هلاك محقق ، أو على الأقل مفضيا الى طاهات لا تبرا .

« ثانيا ، إن هؤلاء المبتورين يظهرون أحيانا غير فاقدين لآى جزء من أجزاء مخهم الطبيعى . «
« إن هذه المسألة من الخطورة والقيمة ، « وجهة نظرنا في مبحثنا هذا ، ووجهة



مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

الى رقيقه وبهبه الحرية ، فانه كان يهبه بحالته لشخص معنوى لانهاية لحياته في نظرهم كمعبد أو إله . ثم تحايل الرومان بعد ذلك فابتدعوا ثلاث طرق للعتق ، (الأولى) : أن يقيد الرقيق في قوائم التعداد التي تحرر لاحصاء الوطنيين الأحرار في كل خمس سنوات ، ولحصر المكلفين بالجهاد والضرائب ؛ فالرقيق الذي يقيد بمعرفة الحاكم المكلف بالاحصاء أو المحصى ، وبموافقة سيده ، يعتبر حرا ، والحر الذي لا يقيد يعتبر رقيقا . غير أن هذه الطريقة بطلت في العصر الامبراطوري .

(الثانية) ، دعوى الحرية الصورية ، بان يعترف السيد أمام وكيل الرقيق في الدعوى بأنه حر ، والحاكم يصادق على هذا الاقرار .

وقد انتهت هذه الطريقة أيضا بأن صارت قاصرة على إقرار بسيط من السيد الى القاضى يعترف فيه بأن رقيقه أصبح حرا .

(الثالثة) : هى الوصية ، إذ ينفذ السيد برقيقه حال حياته ، ثم ينص في وصيته التى يختار فيها وارثه على إعطاء الرقيق ، وكانت الوصية فى القانون القديم تحصل بإجراءات خاصة أمام مجلس الشعب وبرضائه ، لأنها تعتبر تغييرا فى نظام الأسرة المقرر قانونا . ثم تبسّطت الاجراءات بعد ذلك فى القانون الحديث .

ولسكن البريتور أصدر فى عصر الجمهورية قرارا يسمى بقانون (جونيا) ، أصلح فيه من حالة الأرقاء ، واعتبرهم أحرارا فى حياتهم يكتسبون الحقوق لأنفسهم ، ولسكنهم يعتبرون أرقاء عند موتهم ، يرثهم ساداتهم ، ولا وارث لهم غيرهم .

وقد قضى جستنيان على كل هذا بأن جعل العتق الذى يحصل بغير إجراءات صحيحا قانونا ، مكسبا للحرية وللرعية الوطنية ، مثله كمثل الذى يحصل رسميا تماما ، وقد نشأت طريقة جديدة للعتق الرسمى ، وهى حصوله فى الكنيسة وبحضور رجال الدين . ويشترط للعتق أن يكون العبد ملكا لمن أعتقه ، وسيده أهلا للتصرف .

أما الآثار التى تترتب على العتق ، فهى أن الرقيق يكتسب حريته ، ولكنها ليست حرية على إطلاقها ، وإنما تنقيد بقيود تجعل المعتوقين فى مستوى أقل من مستوى الأحرار الأصلاء ، منها ما هو سياسى كحرمان المعتوق من مناصب الحكم ، ومن عضوية مجلس السيناتو ، ومن الخدمة فى فيالق الجيش ، ومن حق الاقتراع بصفة عامة . ومنها ما هو مدنى وهو أن المعتوق لا يتزوج من الأحرار والأصلاء . ثم قصر هذا المنع على أعضاء السيناتو وعائلاتهم ، ثم ألغى فى عهد جستنيان . ولذلك جعله القانون خاضعا دائما لولاء مولاه ، لأنه خالق حريته ، وهذا الولاء يستلزم من الرقيق ثلاثة واجبات .

١ — عاطفة الإجلال لسيدته وأصوله ، فلا يقاضى أحدا منهم إلا بإذن من الحاكم ، كما يخضع لقضاء سيده .

٢ — أن يقوم المعتوق إذا لزم الحال بخدمات ومساعدات لسيدته ، وهذا واجب أخلاقي يتعهد به الرقيق عادة عند إعنتاقه ، فيصير واجبا مدنيا ينفذ قانونا .

٣ — حق الميراث إن مات المعتوق بلا وارث ، وحق الوصاية إن كان المعتوق قاصرا أو امرأة .

فإذا خالف المعتوق هذه الواجبات الثلاث ، وجحد نعمة سيده ججودا ، أمكن له أن يعيده إلى العبودية ، وقد تزول جميع هذه الواجبات بموافقة من المعتق ، كما تزول جميع الموانع السياسية والمدنية التي سبق أن ذكرناها بقرار من الإمبراطور لصفات أو أعمال امتاز بها المعتوق . وفي عهد جستنيان تقرر مساواة المعتوق بالحر الأصيل من كل وجهة إلا من وجهة الولاء الذي يبقى للمعتق إذا لم يتنازل عنه .

ولقد كانت القاعدة العامة بالنسبة للمعتوقين أن السيد لا يمكن أن يمنح من أعتقه حالة أدنى من حالته الشخصية ، فإن كان لا تبيها أو أجنبيا ممتازا ، فلا تزيد صفة الرقيق عن صفة سيده . وقد ألغى هذا التفریق في الطبقات في عهد جستنيان ، فأصبحوا جميعا من طبقة واحدة هي طبقة الوطنيين ، وذلك عقب قرار الإمبراطور كارا كلا الصادر من قبله بإلغاء التفریق بين طبقات الأحرار الأصلاء وبين كاتير عبد مصطفى عبد الحميد أبو زير

المنسوب القضائي بالأوقاف الملكية سابقا

بلاغات قيمة

دخل ابن عقال بن شبة على أبي عبيد الله كاتب المهدي أمير المؤمنين . فقال له : يا ابن عقال لم أرك منذ اليوم .

فأجابه ابن عقال قائلا : والله اني لألقاك بشوق ، وأغيب عنك بتوق

وقال عبد العزيز بن مروان أخو أمير المؤمنين عبد الملك ، لنصيب بن رياح وكان أسود هل لك فيما ينمر المحادثة (يريد الشراب) ؟

فأجابه نصيب بقوله : اللون مرمد ، والشعر مفلقل ، ولم أقعد اليك بكريم عنصر ، وإنما هو عقلي ولساني ، فان رأيت أن لا تفرق بينهما فافعل .

١ — عاطفة الإجلال لسيدته وأصوله ، فلا يقاضى أحدا منهم إلا بإذن من الحاكم ، كما يخضع لقضاء سيده .

٢ — أن يقوم المعتوق إذا لزم الحال بخدمات ومساعدات لسيدته ، وهذا واجب أخلاقي يتمهد به الرقيق عادة عند إعنتاقه ، فيصير واجبا مدنيا ينفذ قانونا .

٣ — حق الميراث إن مات المعتوق بلا وارث ، وحق الوصاية إن كان المعتوق قاصرا أو امرأة .

فإذا خالف المعتوق هذه الواجبات الثلاث ، وجحد نعمة سيده جحودا ، أمكن له أن يعيده إلى العبودية ، وقد تزول جميع هذه الواجبات بموافقة من المعتق ، كما تزول جميع الموانع السياسية والمدنية التي سبق أن ذكرناها بقرار من الإمبراطور لصفات أو أعمال امتاز بها المعتوق . وفي عهد جستنيان تقرر مساواة المعتوق بالحر الأصيل من كل وجهة إلا من وجهة الولاء الذي يبقى للمعتق إذا لم يتنازل عنه .

ولقد كانت القاعدة العامة بالنسبة للمعتوقين أن السيد لا يمكن أن يمنح من أعتقه حالة أرقى من حالته الشخصية ، فإن كان لا تينيا أو أجنبيا ممتازا ، فلا تزيد صفة الرقيق عن صفة سيده . وقد ألغى هذا التفريق في الطبقات في عهد جستنيان ، فأصبحوا جميعا من طبقة واحدة هي طبقة الوطنيين ، وذلك عقب قرار الإمبراطور كارا كلا الصادر من قبله بإلغاء التفريق بين طبقات الأحرار الأصلاء .

مصطفى عبد الحميد أبو زير

المندوب القضائي بالأوقاف الملكية سابقا

بلاغات قيمة

دخل ابن عقال بن شبة على أبي عبيد الله كاتب المهدي أمير المؤمنين . فقال له : يا ابن عقال لم أرك منذ اليوم .

فأجابه ابن عقال قائلا : والله اني لآلقاك بشوق ، وأغيب عنك بتوق

وقال عبد العزيز بن مروان أخو أمير المؤمنين عبد الملك ، لنصيب بن رياح وكان أسود هل لك فيما يثمر المحادثة (يريد الشراب) ؟

فأجابه نصيب بقوله : اللون مرمد ، والشعر مفلفل ، ولم أقعد اليك بكريم عنصر ، وإنما هو عقى ولساني ، فان رأيت أن لا تفرق بينهما فافعل .

بلاغة عبد القاهر

— ٣ —

عبد القاهر والجاحظ :

بعد ذلك ننظر في صحيفة بشر بن المعتز رأس فرقة (البشرية) من المعتزلة ، والذي يقول فيه الجاحظ : لم أر أحدا أقوى على الخمس والمزدوج مما قوى عليه بشر . وما هي ذي كما وردت في البيان ص ١٢٦ ، ١٢٧ ج ١

كلام بشر بن المعتز :

حين مر إبراهيم بن جبلة بن مخزومة السكسوني الخطيب وهو يعلم فتیانهم الخطابة فوقف بشر ، فظن إبراهيم أنه إنما وقف ليستفيد أو ليكون رجلا من النظارة ، فقال بشر : اضر بوا عما قال صفحا واطووا عنه كشحا . ثم دفع اليهم صحيفة من تحبيره وتنميقة ، وكان أول ذلك الكلام : خذ من نفسك ساعة نشاطك وفراغ بالك وإجابتها إياك ، فإن قليل تلك الساعة أكرم جوهرها ، وأشرف حسبا ، وأحسن في الأسماع ، وأحلى في الصدور ، وأسلم من فاحش الخطأ ، وأجلب لكل عين وغرة ، من لفظ شريف ومعنى بديع . واعلم أن ذلك أجدى عليك مما يعطيك يومك الأطول بالسكد والمطاولة والمجاهدة وبالتكلف والمعاناة . ومهما أخطأك لم يخطئك أن يكون مقبولا قصدا وخفيفا على اللسان سهلا ، وكما خرج من ينبوعه ونجم من معدنه . وإياك والتوعر ، فإن التوعر يسلمك الى التعقيد ، والتعقيد يستهلك معانيك ويشين ألفاظك ، ومن أراغ معنى كريما فليلتبس له لفظا كريما ، فإن حق المعنى الشريف ، اللفظ الشريف ، ومن حقهما أن تصونهما عما يفسدهما ويهجنهما ، وصما تعود من أجله الى أن تكون أسوأ حالا منك قبل أن تلتبس إظهارهما وترتهن نفسك بملاستهما وقضاء حقهما . وكن في ثلاث منازل ، فإن أولى الثلاث : أن يكون لفظك رشيقا عذبا ونحما سهلا ، ويكون معنأك ظاهرا مكشوفاً وقريبا معروفا ، إما عند الخاصة إن كنت للخاصة قصدت ، وإما عند العامة إن كنت للعامة أردت . والمعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة ، وكذلك ليس يتضع بأن يكون من معاني العامة ، وإنما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة مع موافقة الحال وما يجب لكل مقام من المقال . وكذلك اللفظ العامي والخاصي ، فإن أمكنك أن تبلغ من بيان لسانك وبلاغة قلمك ولطف مداخلك واقتدارك على نفسك أن تفهم العامة معاني الخاصة وتكسوها الألفاظ الواسطة التي لا تلطف عن الدهاء ولا تجفو عن الأكفاء فأنت البليغ التام ، فإن كانت المنزلة الأولى لا تواتيك ولا تعتربك ، ولا تسنح لك عند أول نظرك وفي أول تكلفك ،

وتجد اللفظة لم تقع موقعها ولم تصر الى قرارها وإلى حقها من أما كتبها المقسومة لها، والقافية لم تحل في مركزها وفي نصابها ولم تتصل بشكلها، وكانت قلقة في مكانها نافرة من موضعها، فلا تكررها على اغتصاب الأماكن والنزول في غير أوطانها، فإنك إذا لم تتعاط قرض الشعر الموزون، ولم تتكلف اختيار الكلام المنشور، لم يعبك بترك ذلك أحد، وإن أنت تكلفتها ولم تكن حاذقا مطبوعا ولا محكما لسانك بصيرا بما عليك أو مالك، عابك من أنت أقل عيبا منه، ورأى من هو دونك أنه فوقك، فإن ابتليت بأن تتعاطى الصنعة وتتكلف القول ولم تسمح لك الطباع في أول وهلة ونعصى عليك بعد إجابة الفكرة فلا تمجل ولا تضجر ودع بياض يومك أو سواد ليلك وعاوده عند نشاطك وفراغ بالك، فإنك لا تعدم الإجابة والمواتاة إن كانت هناك طبيعة أوجريت من الصناعة على عرق، فإن تمنع عليك بعد ذلك من غير حادث شغل عرض ومن غير طول إهمال فالمنزلة الثالثة أن تتحول من هذه الصناعة إلى أشهى الصناعات إليك وأخفها عليك، فإنك لم تشتهه ولم تنازع إليه إلا وبينكما نسب، والشئ لا يمن إلا إلى ما يشاكله، وإن كانت المشاكلة قد تكون في طبقات لأن النفوس لا تجود بمكنونها ولا تسمح بخزونها مع الرهبة كما تجود مع الخيبة والشهوة، فهكذا هذا. اهـ

قال بشر : فلما قرئت على ابراهيم قال لي : أنا أحوج الى هذا من هؤلاء الفتيان .
فأنت ترى من خلال هذه الصحيفة أنها جمعت في أثنائها تطبيق الكلام على الأحوال وما يجب لكل مقام من المقال، وتحدثت عن نظرية النظم التي أبدى فيها عبد القاهر وأعاد في كتابيه .
والتشابه واضح بين قول عبد القاهر في النظم ص ٥٥ : دلائل : لما كانت المعاني إنما تتبين بالالفاظ، وكان لا سبيل للترتب لها والجامع شملها إلى أن يعلمك ما صنع في ترتيبها بفكره إلا بترتيب الالفاظ في نقطه، تجوزوا فكنوا عن ترتيب المعاني بترتيب الالفاظ ثم بالالفاظ بحذف ترتيب، ثم أتبعوا ذلك من الوصف والذمت ما أبان الغرض وكشف عن المراد، كقولهم : « لفظ متمكن »، يريدون أنه بموافقة معناه لمعنى ما يليه كالشئ الحاصل في مكان صالح يطمئن فيه، « ولفظ قلق ناب » يريدون أنه من أجل أن معناه غير موافق لما يليه كالحاصل في مكان لا يصلح له فهو لا يستطيع الطمأنينة فيه، إلى سائر ما يجيء صفة في صفة اللفظ مما يعلم أنه مستعار له من معناه، وأنهم نحلوه إياه بسبب مضمونه ومؤداه .

وقول بشر : « وتجد اللفظة لم تقع موقعها ولم تصر الى قرارها وإلى حقها من أما كتبها المقسومة لها وكانت قلقة في مكانها نافرة في موضعها فلا تكررها على اغتصاب الأماكن والنزول في غير أوطانها » وإني بهذه المناسبة أستطيع أن أقول : إن بشرا هذا أول من تحدث في البلاغة العربية ونمى لنسب الكلام على مقتضى الحال وما يجب لكل مقام من المقال . وأشار إلى مبحث النظم وصلة معاني الكلمات بعضها من بعض . وإذا صح أن بشرا هذا عربي

الأصل كانت البلاغة عربية محضة ولم تكن مقتبسة من بلاغة يونان ، كما يقول بعض المحدثين من غير دليل سوى أنه وجد العرب تقول : زيد أسد ، واليونان تقول أخيل أسد ، إذن فالبلاغة العربية مقتبسة من اليونان . وأنا أرى أنها نزعة شعوبية حديثة تضرب بعرق إلى الشعوبية القديمة ، يراد بها تجريد العرب من كل ابتداع في جميع ضروب العلوم والمعارف ، وإظهارهم بمظهر المتكسب على غيره في كل ما يأتي وما يدع ، وما أصدق ما قيل :

والدعوى إن لم تقيموا عليها بينات أبناؤها أدياء

ثم تلا الجاحظ تلو بشر هذا فقال في كتابه البيان ج ١ ص ١٤٨ : « وينبغي العنكم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما ولكل حالة من ذلك مقاما ، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني ، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات ، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات » .

وإذا قال عبد القاهر في أسرار البلاغة ص ٣ : وإنما شرطت هذا الشرط فانه ربما استسحق اللفظ بأمر يرجع إلى المعنى دون مجرد اللفظ ، كما يحكى من قول عبيد الله بن زياد لما دهش : « افتحوا لي سيني » ، فاعلم أنها بضاعة الجاحظ حيث يقول في كتابه البيان ص ١٦٧ ج ٢ تحت عنوان (باب اللحن) : وكان قال مرة (يعني عبيد الله بن زياد) : افتحوا سيوفكم يريد سلوا سيوفكم ، فقال يزيد بن مفرغ من تحقيق قايير علوم ردي

ويوم فتحت سيفك من بعيد أضمت وكل أمرك للضياع

ولما كلمه سويد بن منجوف في الهتهات بن ثور قال له : يا بن البظراء ! فقال له سويد : كذبت على نساء بني سدوس . قال : اجلس على است الأرض : قال سويد : ما كنت أحسب أن للأرض استا .

وإذا قال الجاحظ في كلامه عن السجع في كتابه البيان ص ٣٣٤ ج ١ : وقال غيرها : إذا لم يطل ذلك ولم تسكن القوافي مجتلية أو ملتزمة متكلفة ، وكان ذلك كقول الأعرابي لعامل الماء : حلبت ركابي ، وحرقت ثيابي ، وضربت صحابي ، ومنعت إبلي من الماء والكلا ، قال : أو سجع أيضا ؟ فقال الأعرابي : فكيف أقول ؟ لأنه لو قال : حلبت إبلي أو جمالي أو نوق أو بمراني أو صرمتي لكان لم يعبر عن حق معناه ، وإنما حلبت ركابه فكيف يدع الركاب إلى غير الركاب ؟ وكذا قوله حرقت ثيابي وضربت صحابي ، لأن الكلام إذا قل وقع وقوعا لا يجوز تغييره . وإذا طال وجدت في القوافي ما يكون مجتليا ومطلوبا مستكرها .

نقل عبد القاهر هذه العبارة بنصها في مبحث السجع والتجنيس من أسرار البلاغة ص ٩ . وإذا قال الجاحظ أيضا في البيان ج ٢ ص ٧ : ولم أجد في خطب السلف الطيب والأعراب الأقحاح ألفاظا مسخوطة ، ولا معاني مدخولة ، ولا طبعا رديا ، ولا قولا مستكرها ، وأكثر

ما نجد ذلك في خطب المولدين البلديين المشككين ، ومن أهل الصنعة المتأدين ، وسواء كان ذلك منهم على جهة الارتجال والاقتضاب ، أو كان من نتاج التخيير والتفكير ، قال عبد القاهر بعد أن أورد كلاما لقيس بن ساعد بن عبادة الخزرجي وكلاما لابن العميد ص ٩ أسرار : ولن نجد هذا الضرب يكثر في شيء ويستمر كثرته واستمراره في كلام القدماء . وقال في الأسرار ص ٦ : وقد نجد في كلام المتأخرين كلاما حمل صاحبه فرط شغفه بأمور ترجع الى ما له اسم بالبديع الى أن ينسى أنه يتكلم ليفهم ويقول ليبين .

وقال الجاحظ في البيان ج ٢ ص ٦ : « ومتى شا كل — أبقاك الله — ذلك اللفظ معناه وأعرب عن خواءه ، وكان لتلك الحال وفقا ولذلك القدر وفقا وخرج من سماجة الاستكراه وسلم من فساد التكلف ، كان قميننا يحسن الموقع وابتغاء المستمع ، وأجدر أن يمنع صاحبه من تناول الطاعنين ، ويحمي عرضه من اعتراض العيابين ، ولا تزال القلوب به معمورة والصدور مأهولة ، ومتى كان اللفظ أيضا كريما في نفسه متخيلا في جنبه وكان سائما من الفضول بريئا من التعميد ، حبيب الى النفوس واتصل بالأذهان والتحم بالعقول ، وهشت إليه الاسماع وارتاحت له القلوب ، وخف على ألسن الرواة ، وشاع في الآفاق ذكره ، وعظم في الناس خطره ، وصار مادة للعالم الرئيس ، ورياضة للمتعلم الرخيص » .

فما زاد عبد القاهر على أن نقل ذلك في كتابه دلائل الإعجاز ص ٣٥ عند تحقيق القول في البلاغة والفصاحة وكل ما شا كل ذلك قال : ومن المعلوم أن لا معنى لهذه العبارات وسائر ما يجري مجراها مما يفرد فيه اللفظ بالثمت والصفة ، وينسب فيه الفضل والمزية إليه دون المعنى ، غير وصف الكلام بحسن الدلالة وتماها فيما له كانت دلالة ، ثم تبرجها في صورة هي أبهى وأزبن وآنى وأعجب ، وأحق بأن تستولى على هوى النفس ، وتنال الحظ الأوفر من ميل القلوب ، وأولى بأن تطلق لسان الحامد وتطيل رغم الحاسد ، ولا جهة لاستعمال هذه الخصال غير أن يؤتى المعنى من الجهة التي هي أصح لتأديته ، ويختار له اللفظ الذي هو أخص به وأكشف عنه وأتم له وأحرى بأن يكسبه نبلا ويظهر فيه مزية »

ولن يعنى عبد القاهر تغيير الأسلوب ما دامت الفكرة واحدة ، وما دام عبد القاهر على صلة قوية بكتاب البيان والتبيين . « يتبع »

رياضى همل

تخصص البلاغة والآداب

اللباب في الاشباب

أتخفنا حضرة الأستاذ الجليل الدكتور شوكت موفق الشطى المدرس بالمعهد العالي بدمشق بكتاب أسماه (اللباب في الاشباب) ضمنه أوثق ما تقرر في العلم بصدد إطالة الحياة، وتجديد الشباب، فأوجز أكل ما وقف عليه من البحوث العلمية في هذا الصدد، وألم بنظريات القائلين بإمكان تجديد الشباب، ولم يترك شاردة مما يتعلق بهذا البحث من الدراسات البيولوجية والفيزيولوجية، ومختلف آراء أعلام العالم في هذا الشأن، ورأى بمد عرض هذه المعلومات كلها « أن من بين قواعد الإسلام وفروضة وسننه ومسحباته ما يكفل للانسان التمتع بالصحة والنشاط في شيخوخته كما في شبابه » فوفاء بالواجب، انتدب الأستاذ المؤلف لا يراد كل ماله علاقة بالتعمير والاشباب في الديانة الإسلامية، مبتدئاً بالغسل والوضوء والصلاة والصيام، وما ورد فيه مما يتعلق بالطعام والشراب الخ الخ الخ كتابه حافلاً ببحوث طريفة، ودراسات شائقة، يجد القارئ فيها اللذة مقرونة بالفائدة. فنثنى على همة الدكتور شوكت ثناء عاطراً، راجين أن يكثر الله من أمثاله العلماء النافعين.

تاريخ القوقاز

يبعث هذا الكتاب في قيمة بلاد القوقاز السياسية والجغرافية، وفي تاريخ شعوبها وقبائلها من أقدم أيامها الى اليوم، وقد حلّى بصور كثيرة تمثل أهلها نساء ورجالا، ومحاربين وأسلحتهم، ومدنها ومبانيها مما يعتبر مجموعة ثمينة يحرص عليها محبو الاطلاع، لاسيما وهو أول كتاب من نوعه في اللغة العربية.

ألفه عزت باشا الجركسى قائد فرق الفرسان بالجيش التركى الحديث، وقد أبلى بلاء حسنا في حرب الاستقلال التركى مع الغازى مصطفى كمال باشا رحمه الله. قام بترجمته الى العربية المرحوم عبد الحميد خالب بك من وجهاء القاهرة في لغة جيدة، وقامت بطبع هذا الكتاب مطبعة عيسى البابى الحلبي على ورق صقيل لجاء سفرا قويا.

أن بلدا كمصر تولى الأمر فيها الجراكسة أو من مؤسسات ما يسترعى الالباب، ويستوقفه وشهرته في الآفاق، لجدير أن يعنى أهله بتأ. من الشعوب وهى أنه (يقتنى مملوكا فيصبح للعلاء، وما حليت به نفسيته من صفات أ

لمية الاخاء الجركسية هديته

من مائتين وخمسين سنة ولهم فيها من الآثار ار، مما كان سببا في حفظ الفن المصرى الشعب الذى اختص بميزة ليست لغيره. وما ذلك إلا لما أودع في قلبه من النزوع ضائل البطولة.